مجلة البيان – العدد ٧٩ ، ربيع الأول ١٤١٥هـ / أغسطس ١٩٩٤م

كلمة صغيرة

أصبح المجاهدون الذين ساهموا في تحرير أفغانستان ظاهرة مرعبة وغير مقبولة في كل بلد، وقد اتُخذت الوسائل الخسيسة لإظهارهم وكأنهم الخطر الأكبر على كل بلد ينتمون إليه زوراً وبهتانا، وجرَّموا بمجرد الانتماء لذلك الجهادُ، بل ونالهم نكران الجميل حتى من أقرب المقربين لهم من رفاق الجهاد الذين طالب بعضهم بإخراجهم من أفغانستان، بل وأصدر المنافقون فتاوى بحل قتلهم ظلماً وعدواناً!

إنها خطة شيطانية يساهم فيها أعداء الإسلام وأذنابهم لضرب أولئك الشباب والقضاء عليهم، فماذا سيكون رد فعلهم يا ترى، فماذا سيكون رد فعلهم يا ترى؟! وكنا نود توعية بعضهم حتى لا تظهر بينهم بعض الأفكار المتعجلة والمنحرفة كما حصل لشباب الخلافة مثلاً ونهايتهم المأسوية، كما كنا نتمنى استغلالهم في مقاومة الباطل وحزبه في مواقع جهادية أخرى، لكن هذا الأمر لا يعني أولئك الحكام بحال مادام أن محارتهم رغبة السادة الكبار!!

@الافتتاحية

المشروع العلماني يتداعى

جاء الإسلام رسالة خاتمة أخرج الله به الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ولذلك دخله الناس أفواجاً، وعلى هذا الأساس قامت دولة الإسلام في المدينة، وتواصل مده عبر القرون، فكانت جنسية المسلم عقيدته.

وحينما بَعُدَ المسلمون عن حقيقة دينهم، وانحرف بهم الفهم عن أصول معتقدهم ومنطلقاته الإيمانية، حينها ظهرت الأمية الفكرية والتعصب المذهبي والاتجاهات البدعية، وظهر الغلو المصادم للإسلام، مما أدى إلى شيوع الجهل في الأمة بعامة، مما أدى إلى سقوطها أمام الزحف الاستعماري الجديد الذي اصطنع نفراً من أبناء الأمة على عينه، فظهرت في ديار الإسلام الاتجاهات الفكرية الوافدة التي دعت إلى القومية والعنصرية والفئوية، بتشجيع من المستعمر المغتصب الذي سلم العهدة بعد فترة الاحتلال وبعد مقاومته إلى تلامذته ومريديه، وهو متأكد تماماً من مدى حرصهم على أداء دوره، وقيامهم بتنفيذ رسالته بأعظم مما كان يقوم به، فقامت الأحزاب العلمانية التي جعلت من نفسها ما يدعونه »بالشرعية الدستورية«، فحكمت بعقلية بوليسية مناوئة للأمة ولعقيدتها وضربت بالحديد والنار كل دعاة الفكرة الإسلامية، واعتبرتهم أعداء ليس لهم حق الدعوة إلى تحكيم شريعة الله في وضح النهار، في الوقت الذي فتحت فيه المجال لكل منهج علماني حتى ولو كان ماركسياً.

أفيدوني رحمكم الله ماذا استفاد عالمنا الإسلامي والعربي من تلك الحكومات العلمانية؟ وماذا كسب من جراء تولي أولئك الحاكمين بأمرهم على مقدرات أمتنا؟ وبماذا أتوا لها من معطيات الحضارة الجديدة النافعة سوى أن جعلوا بلداننا في مؤخرة البلدان فقراً وفي ذيل القافلة تخلفاً، ولم نعد سوى

أسواقاً استهلاكية للأجنبي، ومحطات تجارب للأنظمة والقوانين المستوردة ومجالاً مفتوحاً للتغريب والإفساد عن طريق وسائل الإعلام والتعليم، فضلاً عن تنحية شريعة الله، مما ساعد على انتشار الجريمة بمعدلات متصاعدة لها آثارها الخطيرة على حاضر الأمة ومستقبلها.

هذه بعض نتائج العلمانية في ديارنا، ومع ذلك مازالت الأبواب مشرعة لنشوء المزيد من تلك الأحزاب إياها، وعقد الندوات والحوارات معها لتكريس تلك المبادئ الباطلة، وخداع الشعوب بمنطلقاتها، والحيلولة دون نشر الفكر الإسلامي الرشيد، وبعد سبعين عاماً مضت من غزو العلمانية لعالمنا العربي والإسلامي، لم نجد سوى قبض الريح وحصاد الهشيم.

إن عقلاء الغرب في غمرة بحثهم الدائب عن مصالح بلدانهم، يقومون بعمليات غربلة وتقويم لمناهج حياتهم واتجاهات فكرهم، للبحث عن مواطن الانحراف وتقويمها، ومعرفة معوقات الطريق وتذليلها، ومعرفة خاطئ الأفكار وتصويبها.

أما علمانيو أمتنا فهم أكثر العلمانيين في العالم ديكتاتورية، وأبرزهم انتهازية وأشهرهم تطرفاً في التعصب لآرائهم الهزيلة، حتى صار »أتاتورك الهالك« يحكم من قبره مقدرات دولة مثل تركيا، فيجرم كل دعاة الإسلام وقادة الإصلاح لمخالفتهم لما وضعه من نهج علماني أهوج، وعلى نهجه يحكم الفراعنة الصغار في بلداننا اليوم، ويقفون بكل صفاقة للحيلولة دون تحكيم شريعة الإسلام بدعاوى فارغة ما أنزل الله بها من سلطان، بينما نجد الغربيين في خضم مراجعاتهم لأفكارهم وقوانينهم ومناهجهم، يضعون العلمانية نفسها في قفص الاتهام، فمنذ أكثر من شهر دعا »مركز أبحاث الديمقراطية« بجامعة »ويستمنستر« في لندن بالتعاون مع منظمة »ليبرتي« إلى ندوة عن »انهيار العلمانية والتحدي الإسلامي للغرب«، ركزت في أبحاثها على نقد المشروع العلماني عبر المستويين النظري والتطبيقي، وموقف الإسلام من هذا المنهج.

وهذه الندوة لم تكن ترفاً فكرياً، ولم تصدر من فراغ، وإنما كان دافعها ما لاحظه العلماء وقادة الفكر هناك من مظاهر الانحراف والسقوط التي آلت إليها الحياة في الغرب مما جعل الغربيين أنفسهم يهربون إلى غير العلمانية، حتى وإن كان إلى أصوليات نصرانية فضلاً عن ما عانته تلك المجتمعات من مظاهر الانحراف الخلقي الذي أدى إلى شيوع الأمراض الجنسية والمخدرات وغيرها وظهور الاتجاهات السياسية المتطرفة مثل النازية والفاشية والتطهير العرقي، مما يعني أن الحضارة الغربية آيلة للسقوط لا محالة إذا سارت بنفس هذا المعدل في الانحراف.

وقد قام هؤلاء المفكرون في هذه الندوة بمناقشة تلك المظاهر المنحرفة في حياتهم، لتلمس الطريق قبل السقوط الذي حذر منه سابقاً أمثال »توينبي وشبنجلر«، وإذا نظرنا إلى واقعنا العلماني في عالمنا العربي والإسلامي، نجد أن علمانيينا الذين هم من جلدتنا ويتحدثون بألسنتنا ينقصهم ذكاء أولئك الغربيين وبعد نظرهم، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، **ومظاهر مكرهم تتجلى فيما يلي:**

١- التجاهل للأيدلوجية العلمانية في شقها الليبرالي، التي يتبنونها للتربص والتستر والحيلولة دون أي توجه آخر حتى ولو كان الإسلام ذاته، لأنهم يعلمون أن فسح المجال له يعني سقوطهم المحتم.

٢- إشاعة الفهم الكهنوتي الخاطئ للإسلام، واعتباره كأي دين محرف آخر لا يصح أن يبارح دور العبادة، وهذا جهل بالإسلام وآفاقه الحياتية المختلفة التي اكتشفها غير المسلمين فأسلموا، وفاقد الشيء لا يعطيه.

٣- العقليات المستمرئة للباطل التي يمكن أن تتحالف مع الشيطان، وأن تتصالح مع أعدى أعداء الإسلام، لكنها تأخذها العزة بالإثم عن الرجوع إلى الحق والاعتراف بحاكمية الإسلام.

٤- نفاقهم لكثير من الحكام، ومسايرتهم في كل ما يدعون إليه، ولاسيما ما من شأنه علمنة المجتمعات، وحثهم على مضايقة التيار الإسلامي وإظهاره بأنه العدو الوحيد للحاكم، ليكسبوا من تهميشه وجودهم في الساحة وبخاصة في وسائل الإعلام، حيث يدعون ليل نهار إلى أن العلمانية هي الحل!!

٥- النهج الميكيافيلي الذي يعني أن »الغاية تبرر الوسيلة«، فقد كانوا ماركسيين يقفون صفاً واحداً ضد الإسلام، وحينما سقطت أيدلوجيتهم صاروا يهادنون الإسلام، ولكن بفهم جديد يدعونه »التنوير«، وهو للتزوير أقرب، وفي مكان آخر من هذا العدد مزيد من الفضح للعلمانيين ولطرائقهم الجديدة.

إن البقاء للأصلح مهما طالت الأيام ومهما أرجف المرجفون، ومما يثبت ذلك ترنح التجربة العلمانية في الغرب، والأعجب أن القوم عندنا يقيمون لها الاحتفالات خداعاً وتزويراً وغشاً للأمة جمعاء، إن كل باطل لا يدوم والحق الذي لا شك فيه أن »إن المستقبل للإسلام« رغم كل المعوقات.

وصدق رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حين قال: »ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله في هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام، وذلاً يذل به الكفر«.

((والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون)).

@مقال

نحو فهم صحيح للعقيدة

عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

لا شك أن العلم بالله تعالى أشرف العلوم وأزكاها وأهمها، فلا حياة للقلوب ولا نعيم، ولا طمأنينة إلا بأن تعرف ربها ومعبودها بأسمائه وصفاته وأفعاله، ومن ثم فإن التفقه في أصول الدين، وتعلم العقيدة وتعليمها، من أعظم المهمات، وأفضل القربات.

وهذه المقالة تحوي جملة من المعالم والتنبيهات لعلها تسهم في الفهم الصحيح للعقيدة، وتعين على تحقيق فقهها تعلماً وتعليماً، فإليك تلك المعالم على النحو التالي:

إخلاص النية لله تعالى في دراسة العقيدة وفهمها:

على كل من المتعلم والمعلم أن يصدقا في فهم العقيدة، وأن يسعيا إلى تلقي العقيدة ابتغاء وجه الله تعالى، وطمعاً في مرضاته، ففقه العقيدة من أفضل العبادات، والعبادات يجب أن تكون لله تعالى وحده لا شريك له، كما قال سبحانه: ((وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء))[البينة:٥]

وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-:(من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة«) (١)، ويقول الربيع بن خثيم: »كل ما لا يراد به وجه الله يضمحل«(٢).

التسليم التام والتعظيم الكامل للنصوص الشرعية الدينية:

يتعين عند تلقي العقيدة وتدريسها أن يخضع القلب لنصوص الوحيين فلا يعارض النص المنزل برأي، ولا ذوق، ولا معقول، ولا سياسة... لقد كان نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- يربي أصحابه رضي الله عنهم على التسليم لله تعالى وتعظيم النصوص الشرعية وإجلالها، فلقد خرج -

صلى الله عليه وسلم- يوماً على أصحابه وهم يقولون: »ألم يقل الله كذا وكذا؟ يرد بعضهم على بعض، فكأنما فقئ في وجهه حب الرُمّان من الغضب، ثم قال: (ما لكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض؟ بهذا هلك من كان قبلكم) «(٣).

قال الأوزاعي رحمه الله »من الله تعالى التنزيل، وعلى رسوله التبليغ، وعلينا التسليم«(٤).

التدرج في تعلم وتعليم مسائل العقيدة:

يلزم البدء بالأولويات، وتقديم الأهم على المهم، فيراعي المتعلم والمعلم التدرج والمرحلية في التعامل مع كتب العقيدة.

فيبدأ بالمختصرات وينتهي بالمطولات، فيبدأ مثلاً »برسالة الأصول الثلاثة« للشيخ محمد بن عبدالوهاب، أو أعلام السنة المنشورة للشيخ حافظ حكمي، ثم ينتقل إلى كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبدالوهاب، ثم الواسطية لابن تيمية، ثم شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، ثم التدمرية... إلى أن يصل إلى المطولات مثل أصول اللالكائي ونحوها(٥).

ويعتني بتقديم الأهم على المهم، ومن ذلك أن يبدأ بتحقيق ما يجب عليه في باب الاعتقاد، فيجب على المكلف أن يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وما أمر به الرسول ونهى عنه، بحيث يقر بجميع ما أخبر به وما أمر به، فلابد من تصديقه فيما أخبر والانقياد له فيما أمر(٦).

ولذا فإن الاشتغال مثلاً بتعلم وتعليم »الأصول الثلاثة« من آكد المهمات، فيجب على كل مكلف أن يعرف ربه سبحانه وتعالى، ونبيه -صلى الله عليه وسلم- ودينه الإسلام، وهذا ما جاء في حديث جبريل المعروف حيث يتعين على المكلف تحقيقها في دنياه، كما يُسأل عنها حين يوضع في قبره، ويُسأل عنها يوم بعثه ونشره: ماذا كنتم تعبدون، وماذا أجبتم المرسلين؟

الشمولية في تعلم العقيدة وتعليمها:

فلا يقتصر على تقرير مسائل في الاعتقاد مع إهمال نظيرها أو آكد منها كأن يُشتغل مثلاً بتقرير توحيد الربوبية مع إهمال توحيد العبادة، أو يُحذّر من الشرك في الدعاء والذبح والنذر، مع إهمال أو تساهل في شرك الطاعة كما هو مشاهد في واقع كثير من المسلمين الآن.

إن هذه الشمولية تحقق الأخذ بجميع أحكام الشرع، والإيمان بشعائر الدين كافة، قال الله تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة))[البقرة: ٢٠٨]، وقال سبحانه: ((والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا))[ال عمران: ٧]، وإن هذه الشمولية تورث إيماناً بجميع النصوص الشرعية، وتستلزم وسطية وخيرية بين الطوائف والفرق التي أهملت تلك الشمولية، حيث آمنت تلك الفرق ببعض النصوص وأخذت بها وأنكرت بقية النصوص وأعرضت عنها.

وهذه الشمولية تورث اعتدالاً في التلقي والفهم، فنسلم من ردود الأفعال، ومقابلة الانحراف بانحراف آخر كما هو حال أهل البدع والأهواء.

هكذا نتعامل مع المخالف:

ومع هذه الشمولية في التعلم والتعليم لمباحث الاعتقاد، فإن الانحرافات ظاهرة في حياتنا الحاضرة تستدعي مزيداً من التفصيل في سبيل الرد على هذا الانحراف، وكشف شبهات المخالف وتفنيدها، وهذا مسلك مأثور سلكه سلفنا الصالح رحمهم الله تعالى.

»فقد سئل الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله هل لهم رخصة أن يقول الرجل: كلام الله ثم يسكت(٧)، فقال أحمد: ولمَ يسكت؟ لولا ما وقع فيه الناس كان يسعه السكوت، ولكن حيث تكلموا فيما تكلموا، لأي شيء لا يتكلمون«(٨).

فكان الإمام أحمد وغيره من السلف يعتقدون أن القرآن كلام الله تعالى، ولما أظهر المعتزلة القول بخلق القرآن، لم يجد السلف بداً من مخالفتهم والرد عليهم، والتفصيل في ذلك، فقالوا: القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق فمنه بدأ وإليه يعود.

ومثال آخر: »أن علماء الكوفة القائلين بأن الإيمـــان قـول وعمل أكثر من غيرهم في بقية الأمصار، حيث إن الإرجاء ابتداء كان فيهم أكثر، كما أن التجهم وتعطيل الصفات لما كان ابتداء حدوثه من خراسان، كثر من علماء خراسان ذلك الوقت من الإنكار على الجهمية ما لم يوجد قط لمن لم تكن هذه البدعة في بلده ولا سمع بها«(٩).

والناظر إلى واقعنا يرى أنواعاً كثيرة من الانحرافات الظاهرة في باب الاعتقاد، كتولي الكفار وموالاتهم، وانتشار المذاهب الفكرية والأدبية المنحرفـــة وظهور عدة طواغيت وأرباب من أمثال مجددي ملة »عمرو بن لحي« الداعين إلى عبادة الأوثـــان والأموات، ودعاة تحكيم القوانين الوضعية والدساتير الأرضية... وغيرها.

ومع خطر هذه الانحرافات وشناعة أثرها فإن الجهود المبذولة تجاهها قليلة محدودة، وفي المقابل فإن جهوداً كبيرة ومؤلفات كثيرة تصرف في تحصيل حاصل، وتقرير أمور اعتقادية هي محل اتفاق بين المسلمين الآن.

أهمية تحقيق الحدود والتعريفات:

من المعالم المهمة في فهم العقيدة: الاعتناء بالتعريفات، والـعـلـم بحدود ما أنزل الله تعالى على رسوله -صلى الله عليه وسلم-، فعلى المعلم والمتعلم أن يـهـتـمـا بتحـقـيـق الحدود والتعريفات لمصطلحات الاعتقاد مثل الإيمان والنبوة والمعجزة... الخ بحيث تكون جامعة مانعة، فلا يدخل فيها ما ليس منها، ولا يخرج منها ما هو داخل فيها، فيتوصـل إلى التصور الصحيح لتلك المصطلحات، ومن ثم يعرف ضرورة ما يناقض تلك المصطلحات.

ومن ثم فإن المعرفة الصحيحة لحد الإيمان مثلاً يورث علماً صحيحاً في معرفة حـد الكفر الذي يناقض الإيمان، فإذا كان الإيمان قولاً وعملاً، فكذا الكفر قول وعمل، ولما ضـــل المرجئة في معنى الإيمان فجعلوه تصديقاً فقط أورثهم ذلك ضلالاً آخر عندما حصروا الكفر في التكذيب فحسب.

وهناك جملة من أقوال أهل العلم في بيان أهمية هذا الـمَـعْـلَـم:

يقول ابن تيمية: »الألفاظ الشرعية لها حرمة، ومن تمام العلم أن يبحث عن مراد رسوله بها ليثبت ما أثبته، وينفي ما نفاه من المعاني، فإنه يجب علينا أن نصدقه في كل مـــا أخبر، ونطيعه في كل ما أوجب وأمر...«(١٠).

ويقول ابن القيم: »معرفة منازل العبودية ومراتبها من تمام معرفة حدود ما أنزل الله على رسوله، وقد وصف الله تعالى من لم يعرفها بالجهل والنفاق فقال تعالى: ((الأعراب أشد كفراْ ونفاقاْ وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله))[التوبة: ٩٧]، فبمعرفة حـدودهـــا دراية، والقيام بها رعاية يستكمل العبد ويكون من أهل إياك نعبد وإياك نستعين«(١١).

ويقول أيضاً: »فـمـــن أشرف العلوم وأنفعها علم الحدود، ولاسيما حدود المشروع المأمور والمنهي، فأعلم الناس أعلمهم بتلك الحدود حتى لا يدخل فيها ما ليس منها، ولا يخرج منها ما هو داخل فيها...«(١٢).

ويقول الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ: »اعلم أن مَنْ تصور حقيقة أي شيء على ما هو عليه في الخارج، وعرف ماهيته بأوصافها الخاصة، عرف ضرورة ما يناقضه ويضاده، وإنما يقع الخفاء بلبس إحدى الحقيقتين، أو بجهل كلا الماهيتين، ومع انتفاء ذلك وحصول التصور

التام لهما، لا يخفى ولا يلتبس أحدهما بالآخر، وكم هلك بسبب قصور العلم وعدم معرفة الحدود والحقائق من أمة، وكم وقع بذلك من غلط وريب وغمة«(١٣).

مثالان مهمان:

من التنبيهات المهمة في هذا الموضوع: معرفة منشأ النزاع وأصله في أبواب الاعتقاد التي وقع فيها الافتراق، فإن معرفة ذلك يورث فهماً صحيحاً، ويميز المذهب الحق من المذاهب الباطلة، كما يعطي تصوراً صائباً لأقوال المخالفين وأوجه الاتفاق والاختلاف معهم، وأضرب لذلك مثلين:

أحدهما مسألة الإيمان فالأصل الذي تفرعت عنه البدع في الإيمان هو دعوى أن الإيمان حقيقة واحدة لا تتبعض ولا تتجزأ، فمتى ذهب بعضه ذهب كله فلم يبق منه شيء.

يقول ابن تيمية: »وأصل نزاع هذه الفرق في الإيمان من الخوارج والمرجئة والمعتزلة والجهمية وغيرهم، أنهم جعلوا الإيمان شيئاً واحداً إذا زال بعضه زال جميعه، وإذا ثبت بعضه ثبت جميعه، فلم يقولوا بذهاب بعضه، وبقاء بعضه، كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (يخرج من النار من كان في قلبه مثقال حبة من الإيمان) »(١٤)«(١٥).

والمثال الآخر: أصل الضلال في مسألة القدر هو التسوية بين مشيئة الله تعالى وإرادته، وبين محبته ورضاه، فسوى بينهما الجبرية والقدرية، ثم اختلفوا، فقالت الجبرية: الكون كله بقضائه وقدره، فيكون محبوباً مرضياً وقالت القدرية النفاة ليست المعاصي محبوبة لله ولا مرضية له، فليست مقدرة فهي خارجة عن مشيئته وخلقه(١٦).

هذا ما تيسر إيراده من معالم وتنبيهات في فهم العقيدة، راجياً من الله تعالى أن يعين على استكمالها، وبالله التوفيق.

هوامش:

(١)صحيح ابن ماجة ج١، ص ٤٨ ؛ المسند ج٢، ح/٢٣٨ ؛ وصحيح أبي داود ج٢، ص ٦٩٧، وقال الألباني صحيح.

(٢)سير أعلام النبلاء ٢٥٩/٤، وجاء في حلية الأولياء (١٧٦/٣) عن محمد بن الحنفية.

(٣)أخرجه أحمد والترمذي.

(٤)التمهيد لابن عبدالبر ١٤/٦.

(٥)انظر: كتاب برنامج عملي للمتفقهين، لعبد العزيز القارئ، ص ٤٠.

(٦)انظر تفصيل ذلك في مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣١٢/٣، ٣٢٧، ودرء تعارض العقل والنقل ٥١/١، وشرح الطحاوية ٧/١.

(٧)يعني حال الواقفة الذين يقولون: القرآن كلام الله، ويسكتون فلا يقولون مخلوق كالمعتزلة والجهمية ولا يقولون غير مخلوق كأهل السنة، وقد عدهم السلف من الجهمية، بل شر من الجهمية، لما يتضمنه سكوتهم من اللبس والتضليل.

(٨)مسائل الإمام أحمد لأبي داود، ص ٢٦٣.

(٩)مجموع الفتاوى ٣١١/٧.

(١٠)مجموع الفتاوى ١١٣/١٢.

(١١)مدارج السالكين ١٤٠/١.

(١٢)الفوائد: ١٣٣.

(١٣)منهاج التأسيس: ١٣.

(١٤)البخاري ج١، ص ١١، كتاب الإيمان ح/١٥، مسلم كتاب الإيمان ح/١٤٨.

(١٥)مجموع الفتاوى ٥١٠/٧.

(١٦)انظر مدارج السالكين ٢٥١/١، شرح الطحاوية ٣٢٤/١.

مقال

العلماء ومسؤولية البلاغ

عبد اللطيف الوابل

إن من يتأمل سنة الله في الأمم الماضية، ويقرأ تاريخ هذه الأمة المسلمة يصل إلى حقيقة واحدة هي أنه كلما ضلت أمة من الأمم عن الحق، وابتعدت عن الهدى، وقادها أهل الزيغ والضلال، وتحكم في شؤونها المفسدون، فإن من سنة الله أن يبعث فيها نبياً من الأنبياء يبين الحق للناس، ويكشف الباطل وأهله ويحمل راية الإصلاح والجهاد، صابراً على ما يصيبه من الأذى.

كان الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام يدعون أقوامهم إلى الحق ويطالبون رؤساءهم من الملأ بالإذعان والطاعة لأمر الله وحكمه، وتحكيم شرعه في كل شؤون الحياة، ويكشفون للناس الباطل القائم، وخذ مثلاً لذلك قصة شعيب عليه السلام مع قومه حيث ذكر الله عنه بأنه دعا قومه إلى الالتزام بشرع الله، ونهاهم عن البغي والفساد، قال تعالى: ((وإلى مدين أخاهم شعيباً، قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان إني أراكم بخير وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط، ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين)) [هود: ٨٤، ٨٥]، فجمع عليه السلام في دعوته بين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولم يقتصر على العبادة الفردية، بل دعاهم إلى إصلاح شؤونهم الاقتصادية والاجتماعية، وهذا معلم واضح من معالم دعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الدعوة المتكاملة التي تقتضي التغيير الشامل لجميع جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ليكون الدين كله لله، فلم يكن أنبياء الله بمعزل عن واقع قومهم، ولم ينشغلوا بقضية الأفراد عن قضايا الملأ وعن مظالم المجتمع.

ولما بعث الله محمداً -صلى الله عليه وسلم- أنزل عليه القرآن ليكون كتاب هداية ومنهج حياة آمنة مطمئنة، فمن يقرأ القرآن يجد أنه منهج شامل يوجه حياة الناس في جميع جوانب الحياة، فقد حمل -صلى الله عليه وسلم- أمانة الرسالة، ودعا الناس إلى كل خير وفضيلة، ونهى عن كل سوء ورذيلة: أمر بإقامة العدل ونشره بين الناس، ودعا إلى إقامة شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحارب كل أنواع الظلم والعدوان سواء أكان ذلك على مستوى الأفراد أو الجماعات، ولم تقتصر توجيهات القرآن على الجوانب الشخصية لحياة الأفراد، بل شملت الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وحيث إن محمداً -صلى الله عليه وسلم- هو خاتم الأنبياء إذ لا نبي بعده، فقد حمل المسؤولية بعده العلماء الصادقون كما ورد بذلك الأثر: »وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض، حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العامة كفضل القمر على سائر الكواكب والعلماء ورثة الأنبياء، والأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر«(١).

هذه المسؤولية التي تحملها علماء الأمة الربانيون طوال تاريخ الإسلام كانت بمثابة السور الآمن الذي حمى الأمة من عواصف الانحلال والفساد، ولا شك أن الناس بدون العلماء جهال، تتخطفهم شياطين الإنس والجن، من كل حدب وصوب، وتعصف بهم الضلالات والأهواء من كل جانب، ومن هنا كان العلماء من نعمة الله على أهل الأرض، فهم مصابيح الدجى، وأئمة الهدى.

والعلماء الذين أعنيهم هم العلماء الربانيون الجريئون في قول الحق المحبون الخير للأمة، الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، والمحاسبون للولاة، الناصحون لهم بالحق، الذين اتصفوا بخلق المرسلين، يقولون للظالمين ظلمتم وللمفسدين أفسدتم، لا يخشون أحداً إلا الله سبحانه، ولا يسكتون عن حق واجب إذاعته، ولا يكتمون حكماً شرعياً في قضية أو مشكلة سواء أكانت متعلقة بشؤون الأمة أم بعلاقات الدولة، إذ صلاح الأمة منوط بصلاح العلماء وقيامهم بواجبهم.

صفات أولئك العلماء:

ولهذه النوعية العظيمة من العلماء صفات يتسمون بها، ويمكن إجمالها فيما يلي:

١- الإخلاص في القول والعمل:

وهو أن يريد العالم بعلمه وجه الله والدار الآخـرة، في الحديث: »لا تَعَلّموا العلم لتباهو به العلماء أو تماروا به السفهاء، ولا لتجترئوا به المجالس فمن فعل ذلك فالنار النار«(٢)، وإن أول من تسعر بهم النار يوم القيامة رجل تعلم العلـــم وقرأ القرآن لغير الله، وفي الحديث الآخر: »من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا لصيب به عرض الدنيا، لم يجد عرف الجنة يوم القيامة«(٣).

٢- العلم بما علم ودعوة الناس إلى ذلك:

فإنه لا فائدة من علم لا يتبعه العمل، ولهذا فإن العلماء العدول تجد علمهم في حركاتهم وسكناتهم وصمتهم وكلامهم ومواقفهم، يقول الإمام علـــي رضي الله عنه يا حملة العلم اعملوا به، فإن العالم من عمل بما علم فوافق عمله علمه، وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوزر تراقيهم، يخالف علمهم عملهم، وتخالف سريرتهم علانيتهم، يجلسون حلقاً حلقاً فيباهي بعضهم بعضاً، حتى إن الرجل ليغضب على جليسـه إذا جلس إلى غيره وتركه أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله عز وجل، وفي الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: »لاتزول قدم ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يُسأل عن خمس: عن عمره فيما أفناه وعـــن شبابه فيما أبلاه وماله من أين اكتسبه وفيمَ أنفقه، وماذا عمل فيمَ علم«(٤).

٣- خشية الله ومراقبته في القول والعمل:

قال سفيان الثوري: إنما يطلب الحديث ليتقى به الله، قال ابن عبدالبر: وليعلم المفتي أنه موقع عن الله أمره ونهيه، وأنه موقوف ومسؤول عن ذلك وعـن مالك رحمه الله أنه كان إذا سئل عن مسألة كأنه واقف بين الجنة والنار، وقال بعض أهل العلم لبعض المفتين: إذا سئلت عن مسألة فلا يكن همك تخليص السائل، ولكن تخليص نفسك أولاً«.

٤- قول الحق وإظهاره:

ومن أهم واجباتهم الرد على شبهات أهل الزيغ والضلال وإنكار المنكرات المعلنة الظاهرة وبيان خطرها، وإعلام الأمة بذلك، وعدم التدليس عليهم لئلا يتخذ الناس سكوت العلماء عن المنكر الظاهر والظلم والبغي حجة في اعتقاد أن ذلك حق لاسيما مسائل الاعتقاد: كالحكم بغير ما أنزل الله مثل القوانين الوضعية واستحلال ما حـــرم الله وتقنينه وإلزام الناس به، وموالاة المشركين ومظاهرتهم على المسلمين، التي يترتب علـى السكوت عنها ضياع الفهم الصحيح لدين الله واندراسه، وانقلاب الحق باطلاً والباطل حـقـاً في نفوس عامة الناس، مما لا يجوز السكوت عليه.. هذا البيان للحق هو الميثاق الذي أخذه الله على أهل العلم بقوله: ((وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونـه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون))[ال عمران: ١٨٧] إن العلماء هم أقدر الناس على قول الحق وبيانه لاسيما ما يتعلق بأعمال الولاة والحكام، مما تكون مفسدته عامة على جميع الأمة.

٥- التعاون والتشاور والتناصح:

وذلك بتبادل الرأي والمـنـــاداة إلى اجتماع كلمة المسلمين على الحق حتى تتحقق المصالح العامة، ولا شك أن العلماء هم أولى الناس بجمع كلمة المسلمين، إذ الأمة إنما تجتمع على علمائها فإذا اجتمعت كلمة العلماء، وتوحدت وحصل بينهم التعاون والتناصح، فإن ذلك أدعى إلى اجتماع الأمة وتعاونها وتضامنها في وجه عدوها.

٦- مناصرة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها:

إن مسؤولية العلماء ليست محصـــورة بقطر أو ببلد بل ينبغي أن يعيشوا ويعايشوا هموم الأمة، ويناصروا المسلمين، ويردوا على أعدائهم ويرفعوا الظلم عنهم بما يستطيعون، لا يخشون في ذلك أحداً إلا الله سبحانه، وذلك أسوة بنبيهم محمد -صلى الله عليه وسلم-، وإن دعوتهم ورسالتهم لا ينبغي أن تحصرها الأقطار ولا الجنسيات لاسيما في أيام الفتن وظهور البدع وانتشار الفساد والظلم والعدوان...

٧- كشف سبيل المجرمين:

وذلك بتحذير الأمة من خطر أصناف المجرمين، وطرق الظالمين وخداع المنافقين، وهذا هو جزء من بيان الحق وإظهاره، وكما قيل: »وبضدها تتبين الأشياء«، والعلماء هم أعرف الناس بشبه المنافقين وخفاياهم، الذيـــن يمثلهم اليوم بكل وضوح أصناف العلمانيين، ولهذا أمر الله نبيه -صلى الله عليه وسلم- بجهاد المنافقين، وكشف سبيلهم لتحذر الأمة من الوقوع في غوائلهم، ومن الانخداع بمظاهرهم الكاذبة.

٨- الحذر من مجالسة أهل الأهواء:

أولئك القوم الذين لاتزال آثار الهوى والحسد تظهر في أقوالهم وأعمالهم، فهم باب فتنة في كل زمان ومكان ومفتاح شـــر على الأمة في السابق واللاحق، وهل ما أصاب الإمام أحمد، وابن تيمية وغيرهما من علـمـــاء الأمة إلا بسبب هذا الصنف من الناس؟ والأصل في علماء الأمة أن يتولوا الرد على أهــل الأهواء، ويحذروا الناس من مخالطتهم ؛ لأن الناس تبع لعلمائهم، فإذا رأوا علماءهم يلاطفون أهل الأهواء، فإنهم يقعون في شباكهم ويظنون أن ما عندهم هو الصواب!!

إن علـمـاء المسلمين هم الذين كانوا يقــــودون حملات الجهاد ويرفعون رايات الإصلاح، ويدافعـــون عن حقوق أمتهم، فلم ينزلوا في مساجدهم أو منازلهم أو يقتصروا على تدريس طلابهم، وإفتاء الناس في قضاياهم الخاصة من طلاق ووضوء وصلاة وبيع وشراء وغيرها مع أهمية ذلك كله، بل كانوا يعلمون أن مسؤوليتهم أكبر من ذلك بكثير، وأن واجبهم تجاه الأمة يتعدى هـــذه الأمور كلها ليصل إلى منــاصرة المسلمين، ومناهضة الكافرين، وكشف ضلال الفاسقين ورد الظـالمين عن ظلمهم، وحماية شرع الله من التحريف أو التعديل ونبذ التحاكم إلى القوانين الوضعية أو التلاعب بأوامر الله ورسوله -صلى الله عليه وسلم- .

اللهم وفق علماء المسلمين إلى الصواب، وثبتنا وإياهم على الحق، إنك على كل شيء قدير وبالإجابة جدير.

والله من وراء القصد.

هـوامـش:

(١)رواه أبو داود ٤/٥٧ ح ٢٦٤١، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢/١٠٧٩ ح ٦٢٩٧.

(٢)صححه الألباني في صحيح الجامع ٢/١٢٢٩ ح ٧٣٧٠، وعزاه للبيهقي وابن ماجة والحاكم في المستدرك.

(٣)رواه أبو داود ٧١/٤ ح ٣٦٦٤، وصححه الألباني في صحيح الجامع ١٠٦٠/٢ ح ٦١٥٩.
(٤)رواه الترمذي ٦١٢/٤ ح ٢٤١٦، وحسنه الألباني في صحيح الجامع ١٢٢٠/٢ ح ٧٢٩٩.

دراسات في العقيدة

دلائل محبة الرسول صلى الله عليه وسلم بين السنة والبدعة

أحمد بن عبد الرحمن الصويان

إن محبة الرسول -صلى الله عليه وسلم- أصل عظيم من أصول الدين، فلا إيمان لمن لم يكن الرسول -صلى الله عليه وسلم- أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين.

* قال الله تعالى: ((قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين))[التوبة:٢٤].

قال القاضي عياض في شرح الآية: »فكفى بهذا حضاً وتنبيهاً ودلالة وحجة على إلزام محبته، ووجوب فرضها، وعظم خطرها، واستحقاقه لها -صلى الله عليه وسلم-، إذ قرّع الله من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله وتوعدهم بقوله تعالى: ((فتربصوا حتى يأتي الله بأمره))، ثم فسقهم بتمام الآية، وأعلمهم أنهم ممن ضل ولم يهده الله« (١).

* وقال الله تعالى: ((النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم))[الأحزاب: ٦].

* وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: »لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين« (٢).

* وقال أيضاً: »والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده« (٣).

* وعن عبد الله بن هشام قال: كنا مع النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر: يا رسول الله لأنت أحب إليّ من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: »لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك«، فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إليّ من نفسي فقال النبي صلى الله عليه وسلم: »الآن يا عمر« (٤).

آثار محبته -صلى الله عليه وسلم-:

المحبة عمل قلبي اعتقادي تظهر آثاره ودلائله في سلوك الإنسان وأفعاله ومن علامات ذلك:

أولاً تعزير النبي -صلى الله عليه وسلم- وتوقيره:

قال الله تعالى: ((إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلاً))[الفتح:٩].

ذكر ابن تيمية أن التعزير: »اسم جامع لنصره وتأييده ومنعه من كل ما يؤذيه«. والتوقير: »اسم جامع لكل ما فيه سكينة وطمأنينة من الإجلال والإكرام، وأن يعامل من التشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه عن كل ما يخرجه عن حد الوقار« (٥).

وتوقير النبي -صلى الله عليه وسلم- له دلائل عديدة، منها:

١ -عدم رفع الصوت فوق صوته:

قال الله تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون))[الحجرات: ٢].

وعن السائب بن يزيد قال: »كنت قائماً في المسجد فحصبني رجل فنظرت فإذا عمر بن الخطاب، فقال: اذهب فأتني بهذين، فجئته بهما، قال: من أنتما أو من أين أنتما؟ قالا: من أهل الطائف، قال: لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ص« (٦).

٢ -الصلاة عليه:

قال الله تعالى: ((إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً))[الأحزاب: ٥٧].

قال ابن عباس: يصلون: يُبرّكون (٧).

وفي الآية أمر بالصلاة عليه، والأمر يقتضي الوجوب، لهذا قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: »البخيل من ذكرتُ عنده فلم يصل عليّ« (٨).

وقال: »رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل عليّ« (٩).

ثانياً الذ ب عنه وعن سنته:

إن الذب عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ونصرته، آية عظيمة من آيات المحبة والإجلال، قال الله تعالى: ((للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون))[الحشر: ٨].

ولقد سطر الصحابة رضي الله عنهم أروع الأمثلة وأصدق الأعمال في الذب عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وفدائه بالأموال والأولاد والأنفس، في المنشط والمكره، في العسر واليسر، وكتب السير عامرة بقصصهم وأخبارهم التي تدل على غاية المحبة والإيثار، وما أجمل ما قاله أنس بن النضر يوم أحد لما انكشف المسلمون: »اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء يعني أصحابه وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء يعني المشركين، ثم تقدم فاستقبله سعد، فقال: يا سعد بن معاذ، الجنة ورب النضر، إني أجد ريحها من دون أحد، قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع، قال أنس بن مالك: فوجدنا به بضعاً وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل، وقد مثل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه (١٠).

ومن الذب عن سنته -صلى الله عليه وسلم-: حفظها وتنقيحها، وحمايتها من انتحال المبطلين وتحريف الغالين وتأويل الجاهلين، ورد شبهات الزنادقة والطاعنين في سنته، وبيان أكاذيبهم ودسائسهم، وقد دعا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بالنضارة لمن حمل هذا اللواء بقوله: »نضر الله امرءاً سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه، فرب مُبلّغ أوعى من سامع« (١١).

والتهاون في الذب عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أو الذب عن سنته وشريعته، من الخذلان الذي يدل على ضعف الإيمان، أو زواله بالكلية، فمن ادعى الحب ولم تظهر عليه آثار الغيرة على حرمته وعرضه وسنته، فهو كاذب في دعواه.

ثالثاً تصديقه فيما أخبر:

من أصول الإيمان وركائزه الرئيسة، الإيمان بعصمة النبي -صلى الله عليه وسلم- وسلامته من الكذب أو البهتان، وتصديقه في كل ما أخبر من أمر الماضي أو الحاضر أو المستقبل، قال الله تعالى: ((والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى))[النجم: ١٤].

والجفاء كل الجفاء، بل الكفر كل الكفر اتهامه وتكذيبه فيما أخبر، ولهذا ذم الله المشركين بقوله: ((وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين، أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن

كنتم صادقين بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين))[يونس: ٣٧-٣٩].

ومن لطائف هذا الباب التي تدل على منزلة الشيخين الجليلة، أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال لأصحابه: »بينما راع في غنمه عدا عليه الذئب فأخذ منها شاة فطلبها حتى استنقذها، فالتفت إليه الذئب، فقال له: من لها يوم السبع ليس لها راع غيري؟ وبينما رجل يسوق بقرة قد حمل عليها، فالتفتت إليه فكلمته فقالت: إني لم أخلق لهذا، ولكني خلقت للحرث، فقال الناس: سبحان الله! قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: »فإني أومن بذلك وأبو بكر وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما« (١٢).

رابعاً اتباعه وطاعته والاهتداء بهديه:

الأصل في أفعال النبي -صلى الله عليه وسلم- وأقواله أنها للاتباع والتأسي، قال الله تعالى: ((لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً))[الأحزاب: ٢١].

قال ابن كثير: »هذه الآية أصل كبير في التأسي برسول الله -صلى الله عليه وسلم- في أقواله وأفعاله وأحواله، ولهذا أمر الله تبارك وتعالى الناس بالتأسي بالنبي -صلى الله عليه وسلم- يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه عز وجل« (١٣).

وجاء أمر الله سبحانه وتعالى في وجوب طاعة الرسول -صلى الله عليه وسلم- في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ((وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)) [الحشر: ٧].

وجعل الله عز وجل طاعة الرسول -صلى الله عليه وسلم- من طاعته سبحانه، فقال: ((من يطع الرسول فقد أطاع الله))[النساء: ٨٠].

وأمر بالرد عند التنازع إلى الله والرسول، فقال: ((يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا)) [النساء: ٥٩].

وتواترت النصوص النبوية في الحث على اتباعه وطاعته، والاهتداء بهديه والاستنان بسنته، وتعظيم أمره ونهيه، ومن ذلك قول الرسول -صلى الله عليه وسلم-: »فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة« (١٤).

وقال -صلى الله عليه وسلم-: »صلوا كما رأيتموني أصلي« (١٥).

وقال: »لتأخذوا عني مناسككم« (١٦).

فطاعة الرسول -صلى الله عليه وسلم- هي المثال الحي الصادق لمحبته عليه الصلاة والسلام فكلما ازداد الحب، زادت الطاعات، ولهذا قال الله عز وجل: ((قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله))[ال عمران: ٣١].

فالطاعة ثمرة المحبة، وفي هذا يقول أحد الشعراء:

تعصى الإله وأنت تزعم حبه ذاك لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن أحب مطيع

خامساً التحاكم إلى سنته وشريعته:

إن التحاكم إلى سنة النبي -صلى الله عليه وسلم- أصل من أصول المحبة والاتباع، فلا إيمان لمن لم يحتكم إلى شريعته، ويسلم تسليماً، قال الله تعالى: ((فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً))[النساء: ٦٥].

وقد بين الله سبحانه وتعالى أن من علامات الزيغ والنفاق الإعراض عن سنته، وترك التحاكم إليها، قال الله تعالى: ((ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً، وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً)) [النساء: ٦٠،٦١].

الغلو في محبة الرسول -صلى الله عليه وسلم-:

انحرف بعض الناس عن هدي النبي -صلى الله عليه وسلم- وأحدثوا في دين الله عز وجل ما ليس منه، وغيروا وبدلوا، وغلوا في محبتهم للرسول -صلى الله عليه وسلم- غلواً أخرجهم عن جادة الصراط المستقيم، الذي قال الله عز وجل فيه: ((وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله))[الأنعام: ١٥٣].

وقد كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حريصاً على حماية جناب التوحيد، فكان يحذر تحذيراً شديداً من الغلو والانحراف في حقه، ودلائل ذلك كثيرة جداً منها:

* عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: »لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله« (١٧).

* وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: »لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد إلا أني أنهاكم عن ذلك يحذر ما صنعوا« (١٨).

* وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً قال للنبي -صلى الله عليه وسلم-: ما شاء الله وشئت، فقال له النبي -صلى الله عليه وسلم-: »جعلتني لله عدلاً، بل قل ما شاء الله وحده« (١٩).

* وعن أنس أن رجلاً قال: يا محمد، يا سيدنا، وابن سيدنا، وخيرنا وابن خيرنا، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: »قولوا بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد بن عبد الله، عبد الله ورسوله، والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل« (٢٠).

ونظائر هذه النصوص كثيرة جداً، وثمرتها كلها بيان أن محبة النبي -صلى الله عليه وسلم- وتعظيمه لا تكون إلا بالهدي الذي ارتضاه وسنه لنا، ولهذا قال عليه أفضل الصلاة والسلام: »من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌ« (٢١).

حقيقة المولد النبوي:

ظهرت هذه الفكرة في عصر الدولة العبيدية الباطنية، إظهاراً منهم لدعوى محبة النبي -صلى الله عليه وسلم-، ثم انتشرت في كثير من دول العالم الإسلامي، إلى يومنا هذا فأصبح اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول عيداً مشهوداً عند كثير من المبتدعة يجتمعون فيه لإنشاد المدائح النبوية والأوراد الصوفية، وإقامة الحفلات والرقصات، وقد يقترن بذلك بعض الشركيات من دعاء النبي -صلى الله عليه وسلم- والاستغاثة به، وقد يحدث الاختلاط بين الرجال والنساء والاستماع إلى الملاهي.

إن تحويل الإسلام إلى طقوس وثنية من الأهازيج الشعرية والطبول والمزامير والتمايل والرقص، وبالتالي الانحراف به عن صفائه ونقائه، هو من قبيل جعله إلى العبث والخرافة أقرب منه إلى الدين الحق.

وحينما تكون هذه العقلية الساذجة المنحرفة حاكمة للعالم الإسلامي يكون رد الفعل الرئيس لدخول خيول نابليون إلى الأزهر الشريف هو اجتماع الشيوخ للتبرك بقراءة حديث النبي -صلى الله عليه وسلم- من صحيح البخاري! وكلما ازدادت الدائرة على المسلمين ازدادت الدروشة، وتمايلت الرؤوس وبحت الأصوات بالأناشيد والأوراد والمدائح النبوية.

إن الاحتفال بالمولد النبوي أصبح عند بعض الناس من العامة والخاصة الآية الرئيسة لمحبة النبي -صلى الله عليه وسلم-، وأذكر أنني كنت قبل سنوات في بلد إسلامي في أوائل شهر ربيع الأول، والناس منهمكون في التجهيز والإعداد لليوم الثاني عشر، تحدثت مع أحد كبار الأساتذة الجامعيين عن هذه البدعة، وبعد أن بح صوتي بذكر الأدلة والشواهد، قال لي: هذا صحيح، ولكن هذا سيدنا النبي!! عندها تذكرت قول غلاة الصوفية: »من أراد التحقيق فليترك العقل والشرع!« (٢٢)، وصدق ابن تيمية حينما قال عن غلاتهم: »كلما كان الشيخ أحمق وأجهل، كان بالله أعرف، وعندهم أعظم«(٢٣).

ومن المفارقات التي تدعو إلى التأمل، أن بعض الناس قد يعصى النبي -صلى الله عليه وسلم- ليلاً ونهاراً، ويتهاون في تعظيم أوامره، فضلاً عن الالتزام بسنته، ومع ذلك فهو يحتفي بيوم المولد، ويوالي فيه ويعادي، وكأن غاية الحب عنده هو إحياء هذا اليوم بالمدائح والأوراد، وبعد ذلك ليفعل ما يشاء...؟! يقول الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله: »من تتبع التاريخ يعلم أن أشد المؤمنين حباً واتباعاً للنبي -صلى الله عليه وسلم- أقلهم غلواً فيه ولاسيما أصحابه رضي الله عنهم ومن يليهم من خير القرون، وأن أضعفهم إيماناً وأقلهم اتباعاً له هم أشد غلواً في القول وابتداعاً في العمل«.

وليس عجيباً أن يحظى هذا اليوم باحتفاء رسمي من الحكومات العلمانية وتسخر له كافة الإمكانات الرسمية، وتجري تغطية فعالياته من جميع وسائل الإعلام، لأنها تعلم يقيناً أن غاية هؤلاء الدراويش لا تتجاوز الأوراد والمدائح حتى إن النذور والقرابين التي ترمى على القبور والأضرحة والمزارات أصبحت مصدر دخل رئيس لوزارات الأوقاف والسياحة، ولهذا كان حافظ إبراهيم يقول متهكماً:

أحياؤنا لا يرزقون بدرهم وبألف ألف يرزق الأموات
من لي بحظ النائمين بحفرة قامت على أحجارها الصلوات؟!(٢٤)

إن محبة الرسول -صلى الله عليه وسلم- عقيدة راسخة في قلوب المؤمنين، ثمرتها الاقتداء والبذل والعطاء والتضحية والجهاد في سبيل نصرة دينه وإعلاء لوائه وحماية سنته، ولا يوجد بين محبي الرسول -صلى الله عليه وسلم- مكان للعجزة النائحين، وما أجمل قول أنس بن النضر رضي الله عنه لما مر بقوم من المسلمين قد ألقوا بأيديهم فقال: ما تنتظرون؟ فقالوا: قتل رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فقال: ما تصنعون في الحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه«(٢٥).

هوامش:

(١)الشفا بتعريف أحوال المصطفى ١٨/٢.
(٢)أخرجه البخاري ٥٨/١، ومسلم ٦٧/١.
(٣)أخرجه البخاري ٥٨/١.
(٤)أخرجه البخاري ٥٢٣/١١.
(٥)الصارم المسلول على شاتم الرسول ص٤٢٢.
(٦)أخرجه البخاري ٥٦٠/١.
(٧)أخرجه البخاري تعليقاً مجزوماً به ٥٣٢/٨.
(٨)أخرجه أحمد ٢٠١، والترمذي ٥٥١/٥.
(٩)أخرجه أحمد ٢٥٤/٢، والبخاري في الأدب المفرد ص ٢٢٠، والترمذي ٥٥٠/٥.
(١٠)أخرجه البخاري ٢١/٦ و ٣٥٤/٧.
(١١)أخرجه أحمد ٤٣٧/١، والترمذي ٣٤/٥، وابن ماجة ٨٥/١.
(١٢)أخرجه البخاري في عدة مواضع منها: ١٥٢/٦ و ١٨/٧ و ٤٢.

(١٣)تفسير القرآن العظيم ٤٧٥/٣.
(١٤)أخرجه أحمد ١٢٧،١٢٦/٤، وأبو داود ١٣/٥-١٥، والترمذي ٤٤/٥، وابن ماجة ١٦/١.
(١٥)أخرجه البخاري ١١١/٢ و ٤٣٨/١٠.
(١٦)أخرجه مسلم ٩٤٣/٢.
(١٧)أخرجه البخاري في عدة مواضع منها ٤٧٨/٦.
(١٨)أخرجه البخاري ١٤٠/٨، ومسلم ٣٧٧/١.
(١٩)أخرجه أحمد ٢١٤/١ و ٢٨٣ و ٣٤٧.
(٢٠)أخرجه أحمد ١٥٣/٣ و ٢٤١.
(٢١)أخرجه مسلم ١٣٤٤/٣.
(٢٢)مجموع الفتاوى ٢٤٣/١١.
(٢٣)مجموع الفتاوى ١٧٤/٢.
(٢٤)الديوان، ج١، ص ٣١٨.
(٢٥)أخرجه البخاري ٢١/٦ و ٣٥٥/٧ ومسلم ١٥١٢/٣.
* من تعليقاته على كتاب »صيانة الإنسان عن وسوسة دحلان« للسهسواني.

خواطر في الدعوة

((كذلك لنثبت بـه فـؤادك*))

محمد العبدة

يشتكي كثير من العاملين في حقل الدعوة الإسلامية من ظاهرة الفتور(*) التي تفشت في السنوات الأخيرة، واعتورت كثيراً ممن كان يرجى نفعه، ويؤمل خيره، وإذا كانت هذه الظاهرة طبيعية أحياناً لما جُبل عليه الإنسان من الضعف فإنها تبدو غير ذلك عندما تتكرر وتستمر، وعندئذ فهي جديرة بالتأمل ومعرفة الأسباب والدوافع، وإن من أكبر أسبابها والله أعلم عدم التجديد في العمل الإسلامي، والانتقال به من مرحلة إلى أخرى، من حالة الضعف إلى القوة ومن قلة العلم إلى الرسوخ فيه، ومن التأصيل النظري إلى الواقع العملي ومن التخطيط الجزئي إلى التخطيط الشامل، فإن هذا مما يرفع الروح المعنوية عند المسلم، بل ويزيد إيمانه، وعندها يكون أقوى على دفع عملية التغيير فهي علاقة جدلية كما يقال، وإن ما نراه أحياناً من الجمود على فكر معين قاله أحد الدعاة أو المفكرين قبل عقود من السنين، يدعو إلى الأسف، فما يصلح لفترة الأربعينات والخمسينات قد لا يصلح اليوم، وما كُتب في تلك الفترة وما بعدها بقليل حول الاجتهادات في أساليب الدعوة، أو طرح بعض الشعارات ليس كله صحيحاً، وهؤلاء الدعاة وإن كان لهم فضل السبق، ولكن الحق أحق أن يتبع، وقد رأينا عجباً ممن يتصدى للدعوة، يقول لك: قال فلان، وكتب فلان، وكأنه لم يزدد منذ عشرين سنة حرفاً من العلم، ولا يدري ماذا جَد على الساحة الإسلامية.

وإذا تتبعنا حال الدعوة في عصر الرسالة نجد أنها في تقدم مستمر، ليس فيه تراجع، فالمسلمون يزدادون عدداً، والدعوة تكسب شخصيات مهمة وتجد لها ملجأ آمناً في الحبشة، ويتعاطف معها بعض أشراف قريش في حصار الشعب، ثم تأتي بيعة العقبة الكبرى منعطفاً مهماً للدعوة، فالهجرة إلى دار الإسلام (المدينة).

كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ينقل المسلمين خطوة خطوة على طريق التمكين فالمرحلة المكية كانت إعداداً للمرحلة المدنية، بل كل مرحلة سواء أكانت في الفترة المكية أو المدنية كانت نقطة انطلاق إلى ما بعدها، وكلما مارس الفرد واجباً ازداد قوة واستعداداً، وقويت آماله، وشعر بالرغبة في العمل، وكان القرآن ينزل منجماً ليثبت قلب الرسول -صلى الله عليه وسلم- ويعيش المسلمون مع القرآن واقعاً عملياً، يُقوّمهم وينتقل بهم في عملية تربوية إلى الحال التي وصل إليها الصحب الكرام.

إذا كان الإسلام هو الحق وغيره هو الباطل، فلماذا وجد هذا الواقع الذي نحن فيه لولا أن في الأمر خللاً في معرفة وجوه المصالح والمفاسد، ونقصاً في القيادات التي تنقل المسلمين إلى المرحلة المناسبة، ولعله عندئذ تُشفى صدور قوم مؤمنين.

الهوامش :

* سورة الفرقان: آية ٣٢.

(٢)ونعني بها: التراخي والتباطؤ بعد الجد والنشاط، فتهن العزيمة عن المضي قدماً لعارض يمنعها. وانظر ما كتبه الشيخ الدكتور ناصر العمر حول هذه الظاهرة في كتابه: الفتور: المظاهر والأسباب والعلاج.

دراسات اقتصادية

المشكلة الاقتصادية
وعلاجها من المنظور الإسلامي
- ٣ -

د. محمد عبد الله الشباني

في الحلقتين السابقتين ناقشنا جانب من جوانب المشكلة الاقتصادية، وهو جانب الندرة في الموارد الطبيعية، وأوضحنا المنهج الإسلامي في معالجة هذا الجانب، وفي هذه الحلقة سوف نناقش الجانب الثاني من جوانب المشكلة الاقتصادية، والمتمثل في نمطية ونوعية توزيع عناصر الإنتاج على أفراد المجتمع أي تحديد مصادر الدخول الفردية وقواعد اكتسابها وتوزيعها وأنصبة عناصر الإنتاج في الدخل.

يرتبط حل المشكلة الاقتصادية بالأساس الذي يتم بموجبه تحديد العائد الأفضل للتكاليف المدفوعة على عوامل الإنتاج، ومدى تأثير ذلك على عرض المستخدمات الإنتاجية، وبالتالي فإن المشكلة الاقتصادية ترتبط بالأسلوب والمنهج الذي يتم به معالجة توزيع المدفوعات على مختلف عوامل الإنتاج.

مفهوم نظرية التوزيع:

تقوم نظرية التوزيع وفقاً للمفهوم الاقتصادي على تحديد مستوى المدفوعات بالنسبة إلى مختلف عوامل الإنتاج، فنظرية التوزيع وفق المفهوم الاقتصادي المعاصر تهتم بكيفية الحصول على عائد أفضل للتكاليف المدفوعة على عوامل الإنتاج، الذي بدوره يؤثر على عرض المستخدمات الإنتاجية.

تتدخل المفاهيم الاعتقادية والتنظيمية في تحديد رؤية النظام الاقتصادي للعلاقات التأثيرية لعوامل الإنتاج في بناء نظرية التوزيع في التطبيق العملي، من تلك المفاهيم التي لها تأثير في التمييز بين مختلف الأنظمة الاقتصادية: كيفية توزيع الناتج الصافي للدخل بين مختلف عوامل الإنتاج.

إن القواعد والضوابط التي يتم وضعها من قبل النظم الاقتصادية لها تأثير على حركة عناصر الإنتاج، فمثلاً النظرة التي يتبناها النظام الاقتصادي تجاه عنصر العمل ودوره في عملية الإنتاج، والأساليب المستخدمة في تحريكه وكذا بقية عوامل الإنتاج الأخرى، تحدد التمايز والاختلاف بين مختلف الأنظمة الاقتصادية فيما يتعلق بكيفية توزيع الناتج القومي على مختلف عوامل الإنتاج.

تمثل أهم جوانب المشكلة الاقتصادية في الأساليب التي تتبناها نظرية التوزيع لمجموع النواتج الصافية للدخل، ممثلاً في مقدار دخل الفرد (أي نصيبه) الذي يناله نظراً لاشتراكه في الإنتاج، سواء بعمله أو بملكيته أو بهما معاً، تتأثر هذه الأساليب التي يتبعها النظام الاقتصادي لأي مجتمع من المجتمعات بالفلسفة التي يسعى النظام الاقتصادي لترسيخ مفاهيمها فيما يتعلق بالنظرة إلى أي عنصر من عناصر الإنتاج.

يقصد بمفهوم التوزيع وفق النظرة الاقتصادية، عملية تحديد حصص عناصر الإنتاج في دخل المجتمع والتي تشتمل على جانبين هما:

١- التوزيع الشخصي، أي توزيع ملكية عناصر الإنتاج على أفراد المجتمع.

٢- التوزيع الوظائفي، ويقصد به تحديد أنصبة عناصر الإنتاج في الدخل القومي على أساس الوظيفة التي أداها كل عنصر في تحقيق هذا الدخل.

إن المشكلة الاقتصادية في جانبها التوزيعي تقوم على أساس تحديد مصادر الدخول الفردية، فالنظام الرأسمالي الذي أصبح السمة المسيطرة بعد سقوط النظام الاشتراكي يحدد مصدر الدخل من العمل ومن عوائد التملك، مع قصور النظام الرأسمالي في وضع القواعد المحددة لاكتساب الملكية أو توزيعها مما أدى إلى سوء توزيع الملكية بين أفراد المجتمع والذي بدوره أدى إلى سوء توزيع الدخول بينهم فيما يتعلق بالتوزيع الشخصي، أما التوزيع الناشيء عن مساهمة عناصر الإنتاج (أي التوزيع الوظائفي) فالنظام الرأسمالي يحصر هذا التوزيع في الربح للأرض والأجر للعمل والفائدة الربوية لرأس المال والربح للتنظيم أو الإدارة.

أما النظام الاشتراكي فهو يلغي الملكية الخاصة لعناصر الإنتاج كلياً أو يحد منها بدرجة كبيرة، لذا فإن التوزيع يتم على أساس العمل، ووفقاً للخطة الاقتصادية التي ترسمها الدولة، وهو بهذا يخالف النظام الرأسمالي، وقد أوضحت التجربة العملية عجز هذا النظام عن حل المشكلة الاقتصادية، بل أدى إلى تفاقمها، وعجز عن تحقيق الأحلام التي بشر بها أتباعه ومعتنقيه، أما النظام الرأسمالي فقد أخذت بوادر فشله تبرز، وأخذت جوانب المشكلة الاقتصادية تستفحل مما يؤذن بقرب سقوط النظام الرأسمالي الربوي، وذلك سوف يؤدي إلى كارثة عالمية لا يعلم مداها إلا الله، فجزئيات المشكلة الاقتصادية أخذت في الاتساع والنمو والتجزؤ مما جعل منظري النظام الاقتصادي الرأسمالي يهتمون بالجزئيات والعمل على تجنب الأضرار التي تلحق بالجوانب الأخرى للمشكلة الاقتصادية.

لم تجد النظرية الإسلامية فيما يتعلق بجانب التوزيع من يتبناها في الواقع التنفيذي، وبالتالي فإن ما سوف يتم إبرازه من طروحات لمعالجة المشكلة الاقتصادية في جانبها التوزيعي، إنما يقوم على افتراض أن هذه الأطروحات في المعالجة إنما تقوم على أن هناك تكامل في النظرة لإدارة اقتصاد الدولة، والذي بدوره يرتبط ببقية الأنظمة الاجتماعية الأخرى المستمدة من الشريعة الإسلامية أي أن هذه الطروحات لا يمكن أن تقوم بدورها في معالجة هذا الجانب من جوانب المشكلة الاقتصادية إذا عزلت عن محيطها البيئي، إن القصد من طرح هذه الأطروحات في معالجة جانب التوزيع من

المنظور الإسلامي عند معالجة المشكلة الاقتصادية، هو إبراز أن الإسلام يمتلك الوسيلة والمنهج الذي يمكن عند الأخذ به مع بقية أنظمة الإسلام الأخرى، حل ما يعانيه الإنسان المعاصر من مشاكل اقتصادية ناتجة عن الانحراف عن فطرة الله التي فطر الناس عليها.

العلاقة بين عناصر الإنتاج وتوزيع الدخل القومي علاقة ترابط وتداخل وترتكز هذه العلاقة على تحديد عناصر التملك ومصادرها، والأسلوب الذي ينبغي اتباعه لتوزيع الدخل القومي على عناصر الإنتاج، ومن مصادر بروز المشكلة الاقتصادية في إي نظام اقتصادي حدود ونظام ومصادر التملك، وكيفية إيجاد التوازن بين مختلف عناصر الإنتاج في اقتسام حصة من الدخل القومي وهذا يتأثر بالقواعد والنظم والتشريعات التي تحدد مصادر الدخل وطرق الكسب ونطاق ومجال استخدام الفائض المدخر من الكسب.

إن من أهم الأمور التي تشغل بال الاقتصاديين هو كيفية معالجة عدم التوازن في تخصيص وتوزيع الدخل على مختلف عناصر الإنتاج.

يمتلك الإسلام تصور معين ومنهاجية خاصة تحدد طرق الكسب ونطاقه كما تعالج نطاق الإنفاق مع إعطاء الحافز على الادخار والاستثمار، بجانب الاحتفاظ بتوازن المجتمع ضمن التوجيه القرآني الكريم في قوله تعالى: ((كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم))[الحشر: ٧]، الإسلام يحرص على تحقيق التوازن بين مختلف عناصر الإنتاج بالتدخل عند الضرورة مع وضع القواعد التي يتم الاسترشاد بها، إن عناصر الإنتاج التي يقرها الإسلام، ويعمل على تحقيق التوازن بينها ثلاثة عناصر أساسية هي: العمل، والموارد الطبيعة ورأس المال، أما عنصر التنظيم أو الإدارة فهو يدخل ضمن عنصر العمل والإسلام يعطي أهمية خاصة للعمل حيث إن له دور متميز في العملية الإنتاجية لأنه العنصر المؤثر في تكوين رأس المال، ولكن لا يُهمل دور رأس المال في المساهمة في العملية الإنتاجية.

اختلال التوازن بين عناصر الإنتاج يساهم في وجود المشكلة الاقتصادية ولهذا فقد وضع الإسلام قواعد لمنع هذا الاختلاف بين عناصر الإنتاج، وسوف نناقش كيفية معالجة الإسلام لكل عنصر من عناصر الإنتاج فيما يتعلق بمعالجة توزيع الدخل القومي بين هذه العناصر، ويعقب ذلك إبراز معالجة الإسلام العامة لضبط التوازن بين مختلف عناصر الإنتاج ضمن نظام الإسلام الاقتصادي.

يعتبر الإسلام عنصر العمل هو القاعدة الأساسية في التملك، كما أنه هو المتحكم والمؤثر في تحديد تكاليف الإنتاج، لأن إنتاج السلع أو تقديم الخدمات مرتبط بقوة العمل المبذولة سواء أتمثلت هذه القوة في الجهد العقلي أو العضلي وإن إنتاج السلع أو تقديم الخدمة لا يتم إلا من خلال قوة العمل، وبهذا فإن الإسلام يعترف بدور العمل في العملية الإنتاجية.

روى الحاكم في مستدركه وأحمد في مسنده عن جميع بن عمير عن خاله أبي بردة بن نيار قال: سُئل النبي -صلى الله عليه وسلم- عن أفضل الكسب فقال: »بيع مبرور وعمل الرجل بيده«(١)، وفي حديث آخر رواه أحمد والحاكم عن رافع بن خديج قال: قيل يا رسول الله: أي الكسب أطيب؟ قال: »عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور« (٢)، وفي حديث آخر رواه ابن حبان في صحيحه وأحمد في مسنده عن سويد بن قيس قال: جلبت أنا ومخرمة العبدي ثياباً من هجر فأتانا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فساومنا في سراويل وعندنا وازنون يزنون بالأجر فقال للوازن: »زن وأرجح«(٣).

من هذه الأحاديث وغيرها نجد أن الإسلام يعطي للعمل دوراً في العملية الإنتاجية، وأن العمل هو أفضل أعمال الكسب، لأهمية العمل في النشاط الاقتصادي وتأثيره في الدورة الاقتصادية، وفي ظهور المشكلات الاقتصادية فقد عمد الإسلام إلى معالجة المشكلات التي يمكن أن يؤثر فيها

العمل، فمن تلك المعالجات التي اهتم الإسلام بوضع حلول لها، وأرشد إلى أمور ينبغي الأخذ بها الأمور التالية:

١- وضع أسس تحديد الأجور:

عند وضع سياسة الأجور يجب وضع أسس تحديد الأجور في المجتمع فمن ذلك ما رواه أبو داود في سننه وأحمد في مسنده عن المستورد بن شداد قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: »من كان لنا عاملاً فليكتسب زوجة وإن لم يكن له خادم فليكتسب خادماً فإن لم يكن له مسكن فليكتسب مسكناً«(٤)، إن هذا الحديث يضع قاعدة عامة لسياسة الأجور، ونصيب العمل من الدخل العام وهذه القاعدة تتمثل بأن يكون هناك حد أدنى للأجور لا يجوز إعطاء أقل منه وهذا الحد الأدنى مرتبط بالكفاية في تحقيق الضروريات الأساسية، لهذا فإن من المشكلات التي تؤثر في تفاقم المشكلة الاقتصادية هو تقليص الأجور وإضعاف نصيبها من الدخل القومي، لأن إضعافها سوف يؤدي إلى التأثير على الإنفاق والذي بدوره يؤثر على الدورة الإنتاجية.

٢- ضرورة معلومية الأجور ودفعها عند تمام العمل المنجز:

وهذه القاعدة تساعد على إيجاد سوق العمل المستقرة، ومنع الاضطرابات العمالية التي هي السمة البارزة في المجتمعات الرأسمالية، ومن الأحاديث المرشدة إلى هذا الأمر ما رواه الدارقطني بسنده عن عبد الله بن مسعود أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: »إذا استأجر أحدكم أجيره فليعلمه أجره«(٥)، كما روى أحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري أن النبي -صلى الله عليه وسلم- نهى عن استئجار الأجير حتى يبين له أجره، ونهى عن النجش واللمس وإلقاء الحجر(٦)، كما روى البيهقي في سننه مرفوعاً عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: »أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه، وأعلمه أجره وهو في عمله«(٧) فهذه الأحاديث ترشد إلى دفع مستحقات العمال في وقتها، ومعلومية الأجر والغاية من هذا الأمر إيجاد العلاقة الجيدة بين أرباب العمل والعمال، وبالتالي استقرار سوق العمل.

٣- العمل على استقرار سوق العمل:

وذلك بالعمل على غرس مبدأ الاستقرار وبقاء العامل في عمله وعدم التنقل من عمل إلى آخر، وإن اضطراب سوق العمل وعدم استمرارية العمال في أي نشاط من الأنشطة الاقتصادية، سوف يؤثر على تكلفة الناتج نتيجة لتغير منحنى عرض العمالة، فيحدث الاضطراب في سوق العمل، لهذا فإن الإسلام يعمد إلى الحث على استقرار العمالة وعدم تنقلها، ويرشد إلى ذلك ما رواه ابن ماجة في سننه وأحمد في مسنده عن الزبير بن عبيد عن نافع قال: كنت أجهز إلى الشام وإلى مصر، فجهزت إلى العراق فأتيت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها فقلت لها: يا أم المؤمنين كنت أجهز إلى الشام فجهزت إلى العراق، فقالت: لا تفعل مالك ولمتجرك فإني سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: »إذا سبب الله لأحدكم رزقاً من وجه فلايدعه حتى يتغير له أو يتنكر له« (٨)، وما رواه ابن ماجة عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: »من أصاب من شيء فليلزمه«(٩)، هذه التوجيهات النبوية ترشد إلى الاهتمام بضرورة العمل على استقرار العمالة وبقائها، أي العمل على السعي إلى المحافظة على توازن منحنى العرض والطلب للقوى العاملة.

٤- حفظ حقوق العاملين:

تقوم استراتيجية تنظيم العمل كما ترشد إليه أحكام الإسلام، على حفظ حقوق العاملين وإلزام أصحاب العمل بتوفير الظروف البيئية الملائمة، وعدم استغلال طاقة العامل أكثر من قدرته،

وضرورة كفاية الأجر لتحقيق احتياجاته الأساسية، فلقد وردت أحاديث ترشد إلى مراعاة ذلك والأخذ به، ومن ذلك مـــا رواه البخاري في الأدب المفرد عن أبي هريرة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: »للمـملـوك طعامه وكسوته ولا يكلف من العمل ما لايطيق«(١٠)، كما روى البخاري بسنده في الأدب المفرد عن أبي ذر قال: قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: »إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكـم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا يكلفه ما يغلبه، فإن كلفه ما يغلبه فليعنه عليه«(١١).

من هذه الأحاديث يمكن وضع سياسة عامة للعلاقة بين أرباب الأعمال والعمال، تتمثل في إعطاء العمال الأجور الكافيـة لسداد احتياجاتهم، مع وضع الضوابط التي تمنع أصحاب العمل من تكليفهم بالـقـيـــام بأعمال أكثر من طاقتهم بحيث يلزم صاحب العمل بتهيئة الظروف الـتـي لا تـؤدي إلى إرهاق العامل جسدياً ونفسياً، هذه الأمور تقدر بقدرها ضمن القاعـــــدة الأصولية »لا ضرر ولا ضرار« بحيث لا تغلب مصلحة العامل على مصلحة رب الـعـمـل، ولا مصلحة رب العمل على مصلحة العامل، بل يجب الانطلاق عـنـد وضـــع السياسات العمالية من مفهوم أن الجميع أخوة تربطهم رابطة العقيدة والإيمان.

هـوامـش:

(١)أحمد ح/٤٦٦١٣، وصححه الألباني في صحيح الجامع ح/١١٢٦.
(٢)أحمد ح/١٤١١٤، وصححه الألباني في صحيح الجامع ح/١٠٣٣.
(٣)أحمد ح/٣٥٢، وصححه الألباني في صحيح الجامع ح/٣٥٧٤.
(٤)أبو داود ح/٢٩٤٥، صحيح الجامع ح/٦٤٨٦.
(٥)ضعيف الجامع الصغير، ضعفه الألباني وعزاه للدارقطني.
(٦)أحمد ج٣، ص ٥٩ ؛ ضعيف الجامع ح/٦٠٣٠.
(٧)ضعيف الجامع الصغير ح/٩٤٣.
(٨)سنن ابن ماجة ح/٢١٤٨، وضعفه الألباني، ضعيف ابن ماجة ح/٤٦٩.
(٩)سنن ابن ماجة ٢١٤٧، وضعفه الألباني، ضعيف ابن ماجة ٤٦٨.
(١٠)الأدب المفرد ح/١٩٢، صححه الألباني، صحيح الجامع ح/٥١٩١.
(١١)الأدب المفرد ح/١٩٤، صححه الألباني، صحيح الجامع ح/٢٣٨.

نصـوص شـعرية

صرخة في طريق المجد

عبد العزيز بن غرسـان الشـهري

جُرحٌ مضى وهناكَ جُـرحٌ بـادي ومـصـائبٌ جلـت عن التّعدادِ
في كـلّ نـاحيـة وكـل ثَـنيّـةٍ جـُرحٌ يَـصـيـحُ بأمتي ويُنادي
حـتـى مـتى فرْعَونُ يقْهرُ عزتي وإلى مـتى هَامَانُ ينهبُ زادي؟
وإلـى مـتـى سيظلّ يُقلقُ راحتى كسرى، وقيصرُ يسترقّ بلادي؟
مـا في المـمـالـك والمدائن سالـمٌ من سـوط جبـار وصولة عَادي
كم تَستَغيثُ وتستجيرُ وما تـرى إلا جمـاداً، أو شـبـيـه جَمَادِ!

****

أبناءُ جلدتنا وفي نظراتهمْحقدُ الصليب وخسّةُ الموسادِ
فتحوا لأهل الشّرّ كلَّ مُغَلّقٍ وغَدَوا لأهل الخير بالمرصادِ
نصبوا العداءَ فليسَ يُغلقُ منبرٌ إلا ويُفْتَحُ للفساد نوادي
والكفر يرتَعُ في الممالك آمناً وشريعة الرحمن في الأصْفَادِ
وأئمةُ الإصلاحِ في أوطاننا ملؤا السّجُونَ بتهمة الإفسادِ
والقدسُ مثخنةٌ تئنّ وفي رُبى مدريدَ مدوا للسلام أيَادي
في ما مضى كنا نراهُ خيانةً واليومَ نركُضُ خلفَهُ ونُنادي
بالأمس طارقُ جَاءَهَا مُتوشحاً سيفاً ليرفعَ رايةَ الأمجادِ
ماذا يظنّ ويُرتَجَى من معشَرٍ خانوا كتائبَ طارق بن زيادِ
ربّاهُ جئتُكَ لا لغيركَ طالباً ولغير بابكَ ما أنختُ جَوادي

****

ألمي يطول فَأمّتي في حيرةٍ من فُرقة العُلماء والعُبّادِ
الحقّ بينَ تَخاصم وتَقَهقُرٍ والكُفر بينَ تضافرٍ وتمادي
زُرعَ الخلافُ بأرضها حتى غدَتْمزَقاً من الأضغانِ والأحقادِ
تغزى فتُهزَمُ ويحَ عُمري للعدا كفريسة هُرعت إلى الصيادِ
والفقرُ يفتكُ بالبلاد ومَالُها يُجبَى لأهل الكُفر والإلحادِ
إني لأعجبُ كيفَ تُنصَرُ أمةٌ عَبَثاً بغير شريعة وجهادِ
ما دُمتِ مُعْرِضَةً وسيفُك مغمدٌ فالمَجدُ في وادٍ، وأنتِ بوادِ

****

أنا مسلمٌ يا قوم تجري في دمي شيَمُ الأباةِ ونَخوَةُ الأجدادِ
قد راعَ تكبيري كَنائسُ قيصَرٍ وارتَاعَ كسرى من صَهيل جيَادي
نفسي عليّ عزيزةٌ وكرامتي لا تُشترى بالوَعد والإبْعَادِ
والقلبُ مني باليقين قد ارتوى ثقةٍ فلستُ أشُكّ في الميعادِ
والله لا النمرودُ يوهنُ همتي أبداً ولا فرعونُ ذو الأوتادِ
أنا لستُ أخشى حربَهُم وسياطَهُم كلا ولا أخشى من الجَلادِ
إن مادَ جسمي للسياط وللأذى فالقلبُ مني ليسَ بالمَيّادِ
إن آثروا سجني فسجني خَلوةٌ وسياحتي في النفي والإبعادِ
أوْ سرّهُم قتلي فلستُ بجازعٍ فالموت غايةُ مطلبي ومُرادي
عَجبوا، وما عجبوا لشيء مثلما عَجبوا لطول تصبّري وعنَادي
ضدان ما اجتمعا لطالب عزةٍ شَرَفُ النفوس وراحةُ الأجسادِ

****

يا قوم قد بانَ الطريقُ فهل تُرى أزفَ الرحيل إلى ذُرى أمجادي
سيروا على سنن الأبَاة وشمّروا حذراً، فما في الدرب غيرُ قتادِ
أدوا الأمانة قبل ألا تملكُواإلا البُكاءَ وحُرقةَ الأكْبَادِ
إني أرى أيامكم قد أصْبَحَتْ حُبلى، وأرقُبُ ساعةَ الميلادِ
وتوغلوا في كل درب نافعٍ لا تتركوا الميدان للأوغادِ
كم منهل عذب، وكم من موردٍ للخير يشكوا قلةَ الوُرّادِ
ربوا النفوسَ على الثّبَات سجيةً عندَ الحَوادث فالخُطوبُ غوادي

وتـريـثـوا فالنصـر ليسَ بخُطبة تُلقـى ولـيسَ بـوفـرة الأعـــدادِ
مـــا حاجـة الأمجاد إلا وقفـةٌ في الـحـادثــات كـوقفـة المقْدادِ
كـم رايـة بالأمـس أوْقدَ نارُهـا لم يـبـقَ مـنـهـــا اليومَ غيرُ رمادِ
هـي رايــةٌ لـلـحـقّ إلا أنـهـــارُفعت بـغـير بصـيرة ورشـــادِ
مـا قـلـة الأعـداد نشكوا إنمـا تشكـــو الكـتـائـبُ قلـة الإعدادِ
محَنُ الزمان تَميزُ إنْ هي أقبلت بيـنَ الأسـُود وصُــورة الآســادِ
وتَسُفُ ريـحُ الجدّ كلّ مُخلخلٍ في الـدرب لـيــس بثابت الأوتادِ
حتى إذا زكت النفوسُ وهُيئت للنصر جاء النصرُ كـالمـُعـتـــادِ
تأتي البشائرُ بعدَ طــول مشقةٍ كالغيث بعدَ الـبـــرق والإرعـــادِ

المسلمون والعالم

هل الغرب يكره التسلط إلى هذا الحد؟

عين الرضا لجاكرتا.. وعين السخط لكوالالمبور!

د. عبد الله عمر سلطان

»مات الديكتاتور«، »سقط الإمبراطورالأحمر«، »وأخيراً.. هلك الطاغية«...

عناوين مشابهة لهذه كانت هي التي تتصدر صفحات الصحف الغربية وحاشيتها العربية بعد هلاك زعيم كوريا الشمالية وصـنـمـهـا الأوحد »كيم إيل سونج«، لاسيما بعد أن أخذت المواجهة بين هذه الدولة المتقوقعة على نفسهـــا وبين القوى الغربية المسيطرة على العالم ومقدراته بعداً آخر...، لقد فجّـر الزعيم الهالك مــــن ضمن ما فجر خلال لقائه بالرئيس الأمريكي الأسبق »جيمي كارتر« معادلة النفاق والتطفيـف الأمـــريكي الطافح حين ربط بين برنامجه النووي وبرنامج »إسرائيل« الأكثر تطوراً، وقذف بالكرة في الجانب الأمريكي قائلاً: »أنا مستعد لتدمير برنامجي النووي في حالة تدمير البرنامج الإسرائيلي الأكثر خطراً..!!«.

لقد أصبح منطق الطغاة والمحنطين على كراسي الحكم هو »قارنـــوا بـرامجنـــا التسليحية ببرامج إسرائيل«، وهذا المنطق هو من باب إحراج الجانب الغربي وبيان عوار منطقه وكفره بأبسط مبادئ العدل والمساواة في العلاقات الخارجية لأنه يمسك بهذا الغرب الـمنحاز من العصب الذي يثيره، ويكشف عن همجيته وانحيازه، أما الجانب الآخر من منطلق الطغاة ومنطقهم، لاسيما في عالمنا العربي والإســـلامي، فهو أن هذه المقولة الحقة لا يراد بها إلا باطل تجرعته أجساد شعوبنا حينما تسلط هذه الأسلحة وتلك المدافع إلى صدور الـشـعــب الأعـزل.. لا إلى »إسرائيل« التي كفلت لزعامات تصلب الشرايين أن تغرس أقدامها كجذور شجر الصبّار الشائك...

لقد تنفس »العالم الحر« الصعداء، وأفرغت ذراعه الإعلامية التي لا تقل دموية وجرماً عن آلته العسكرية والاقتصادية المقالات والدراسات والتحليلات المتعددة التي ترسم خيارات المستقبل الآسيوي بعد هلاك الطاغية.

أوليس جديراً أن يحتفل الغرب المناضل دوماً في سبيل الحرية بسقوط زعيم متسلط؟ أوليس الغرب هـو حـــامي حمـــى الديموقراطية والذائب هياماً وشغفاً بكل ما هو ومن هو عادل ومنصف؟!

قد يذكرنا بعضهم هنا بمقولة »جان كارباترك« مندوبة أمريكا في الأمم المتحدة سابقاً، ومنظرة اليمين الأمريكي »المحافظ والمتدين« حينما أطلقت تصريحها الشهير حول دعم أمريكا لبعض

الأنظمة القمعية مقابل حركات تؤمن بالحوار والتعددية، فقالت دون مواربة: »إن دكتاتوراً تابعاً لنا... خير ألف مرة من نظام ديموقراطي يقف أمام مصالحنا...«.

وهنا قد يقال: إن هذا التصريح هو زلة لسان أو عاطفة جياشة من شمطاء لم تملك مشاعرها أو أحاسيسها وهي عادة متأصلة في رعاة البقر لاسيما المحافظين منهم لكن لماذا لا نمتثل لنصائح الناطق باسم البيت الأبيض أو وزارة الخارجية الأمريكية حيث يشير علينا مع كل غارة إسرائيلية تجندل الأطفال وتزرع الرعب، بأن نضبط أعصابنا، وأن نتحلى بمقدار جيد من ضبط النفس، حتى تتكفل إسرائيل بضبط أنفاسنا.. أو إنهائها إلى الأبد؟!.

ماذا علينا لو نظرنا بعين الواقع إلى جنوب شرق آسيا قريباً من بؤرة هلاك الدكتاتور، وقارنا بين مثالين أحدهما »دكتاتوري«... والآخر »ليبرالي«... واحد يكمم الأفواه ويطارد المعارضين، ويستحدث العقائد لدولة جل سكانها يدينون بدين واحد، وآخر يحكم خليطاً غير متجانس من الشعوب والأعراق...؟! لن نختار دولة مسلمة وأخرى كافرة لأن أصدقاءنا الأمريكان سوف يتهموننا حتماً بالأصولية والتشدد والنتائج المسبقة، بل سنختار دولتين ضمن عالمنا الإسلامي لننظر كيف يُصعّد الحدث هنا، ويتجاهل هناك ثم نطرح السؤال البريء ذاته: هل يؤيد الغرب الديموقراطية أم الدكتاتورية؟!

ثم ما هو عامل الفرز لحب التسلط أو الهيام بالتسامح والتعددية؟ هل هذا العامل مهم وحاسم ودقيق إلى هذا الحد؟.. دعونا نستعرض وضع أندونيسيا وماليزيا للوصول إلى إجابة معقولة على هذا السؤال.

أندونيسيا ومفترق الطرق:

ظلت أندونيسيا رغم ضخامتها وكثافتها السكانية عامل تحييد واستقرار في منظومة السياسة الأمريكية في المحيط الهادي، أو بعبارة »ستيفن ستراسر« المعلق الأمريكي »دولة متعاونة مع الغرب إلى أقصى حد، وودودة مع الصين رغم استحواذ الجالية الصينية بها على المقدرات الاقتصادية، مع سلبية في تعاملها مع جيرانها، وهي الآن تبحث عن موطئ قدم في ظل انقلاب الموازين، فهي التي بادرت لإجراء المباحثات في كمبوديا، وهي التي تسعى لجمع فرقاء النزاع في بورما، كما أنها الآن تعرض وساطتها بين كوريا الشمالية والغرب« إن الرئيس الحالي سوهارتو الذي أتى بعد حكم »سوكارنو »المتعاطف مع الشيوعيين، ظل أصدق الحلفاء لأمريكا، وهذا ما حدا بالغربيين إلى التغاضي عن الممارسة السياسية العنيفة والفساد المستشري في الحكومة هناك ولا تزال أصداء الصدمات الأخيرة بين الحكومة والشعب لا تخطئ بكثير متابعة من قبل الصحافة الغربية التي تعمل بنظرية حارس البوابة »الإعلامية«، وهذه النظرية الإعلامية تقول إن الإعلام لاسيما الذكي يتعامل مع الخبر كحارس البوابة فيضخم ما يراه يخدم مصالحه ومبادئه، ويتجاهل ما يسيء إليها... وهذا العامل هو الذي يفسر التغاضي عن إجراءات الحكومة الأندونيسية لحظر أكبر ثلاث مجلات في البلاد هي: »دي تيك، وتمبو، والمحرر« في شهر »حزيران« المنصرم بعد أن نشرت تفاصيل عن عمولات صفقة شراء أسلحة للقوات البحرية الأندونيسية التي يتهم فيها وزير التطوير والتقنية »حبيبي« الذي يعد أبرز الشخصيات لخلافة »سوهارتو »بعد أن إنتهاء ولايته الخامسة.

لقد مر الأرخبيل الأندونيسي بفترة مشابهة في عام ١٩٧٨ م، بعد أن تظاهر الطلبة والمثقفون اعتراضاً على إعادة انتخاب سوهارتو رئيساً في ظل انتشار المحسوبية والفساد والقمع السياسي، والاعتماد على المساعات الخارجية وتسلط الجالية الصينية، على مقدرات البلاد وتحالفها مع نظام العسكر.

لقد طرح المعارضون بقوة أن العسكر قد قاموا بواجبهم ولم يعد لديهم أي جديد يقدمونه، فتفتقت الأذهان عن فكرة »الباتشيلا«، وهي دين جديد استحدثه »سوكارنو «، وألزم الشعب الأندونيسي المسلم اعتناقها، ثم قام بمطاردة كل خصومه بحجة محاربة هذا الوثن الجديد الذي أُلزِمَت حتى الأحزاب الإسلامية بالإيمان به وإلا... والسؤال: هل يواجه المأزق السياسي بدين جديد أو وثن آخر يتم من خلاله محاربة المد الإسلامي المتنامي في الأرخبيل الوادع؟

لقد راهن العسكر والقوى الغربية من خلفهم على النمو الاقتصادي باعتباره هدفاً وغاية ووسيلة من خلال نموذج شبيه بنموذج »بونشيه« ديكتاتور تشيلي الذي حكمها بالحديد والنار ليرفع من اقتصادها عقدين من القمع لكن النمو الاقتصادي في ظل التسلط والتغاضي الغربي، لا يحل المشكلة بل ربما فاقمها فالصحافة الأندونيسية والشارع هناك يتحدث عن »مافيا بيركلي«، وفي هذا إشارة إلى جامعة »بيركلي« الأمريكية الشهيرة التي ينتمي إليها معظم رموز النظام الحاكم والمثقفين الكبار، وهذه العصابة الحاكمة ترى أن النمو الاقتصادي وحده لا ينصف مظلوماً أو يزيل فساداً أو يحل قضية هامة كقضية الهوية والانتماء لاسيما في أجواء صحوة المسلمين المعاصرة وعودتهم إلى ذاتهم.

قد يتغاضى الغرب حيناً عن أصدقائه، ويطلق أيديهم تخنق وتصطاد ضحاياها البشرية، وتعد برفاهية أكبر وحلم تنموي جميل، لكن الأرقام والمشاعر حينما تختلط تقول إنه بالرغم من التقدم الاقتصادي والنمو المتسارع في أندونيسيا، إلا أنه يظل أقل بكثير من دول آسيوية أخرى لا تقارن بإمكاناتها ومقدراتها، وأن طوفان الفساد المستشري يلقي بظلاله على الحياة الاقتصادية من خلال الاحتكار والعمولات الخيالية، تماماً كما يعوق نمو الحياة الاجتماعية أو السياسية، فالنمو الاقتصادي لابد أن يرافقه انفتاح سياسي، واستقرار اجتماعي، واستنفار لغالبية الأمة يربطها بمعتقد أو فكرة شمولية حضارية كعقيدة الإسلام لا تمت لشعوذة العسكر أو صنمهم الهلامي!!

وماليزيا في خندق الدفاع عن الذات:

على عكس الوضع في أندونيسيا، فإن الخارطة السياسية والأمنية في ماليزيا تتميز باختلاط كثير من الأعراق لاسيما الصينيين والهنود، إضافة إلى الملاويين المسلمين، ويشكل المسلمون أغلبية ضئيلة لكنهم يمسكون بزمام الحكم والقيادة، وقد استطاعت ماليزيا أن تسجل قفزات كبيرة في تكوين دولة عصرية ذات اقتصاد متين رغم قلة إمكاناتها مقارنة بأندونيسيا، وظلت البلاد تتمتع بمناخ حر وفضاء واسع حتى للأقليات المتربصة بالمسلمين والموالية لدول الجوار وبالرغم من الرفاه الاقتصادي المقرون بمناخ حر وديمقراطي، فقد ظلت البلاد تتمتع بسياسة مستقلة ترفض التحزبات، وتأبى أن تخضع للهيمنة والغطرسة الغربية.

لقد جمع المثال الماليزي المحرمات الثلاث: نمو اقتصادي، وحرية سياسية، وتوجه مستقل يحمل بصمات الإسلام، وهذا ما يفسر حنق الغربيين لاسيما البريطانيين من هذه الدولة الفتية وتسخير وسائل الإعلام لاسيما التي يملكها الصهيوني »ماردوخ« للنيل من الحكومة الماليزية التي ردت على بريطانيا »العظمى سابقاً« بأسلوب فيه درس للعزة ونموذج للإباء.

لقد قامت كوالالمبور بشطب الشركات البريطانية من قائمة المؤسسات التي تتعامل معها، فما كان من الأسد البريطاني »الهرم« إلا أن قدم الاعتذار وتخلت الصحافة البريطانية عن أسلوب الدس العلني في هذه الجولة، لكن التآمر لم ولن ينتهي، وسيجد ألف وسيلة لرد المارد الماليزي إلى الحظيرة وفرض النموذج »السوهارتي« عليه إن أمكن ذلك.

إن التوجه المستقل لاسيما المسلم هو عامل الفرز الوحيد لمضايقة ماليزيا ورسم المخططات لحصارها، كما أنه شرط العضوية المهم الذي غض الغرب الطرف بسببه عن الأرخبيل المجاور،

الذي رضـي بالدوران في الفلك الغربي، وقام بنصب العقيدة الجديدة »الباتشيلا« بدلاً من الاعتزاز بالإسلام وترسم نهجه الحضاري.
الغرب يكره الديكتاتوريـة، ويحـب الديموقراطية، عبارة حفظناها عن ظهر قلب، لكن الحقيقة المـرة أن هـذه العبارة صحيحةفي حق شعوبه ودوله فقط، أما في حق الشعوب المسلوبة هـويتها فربما جرب الغرب الديمقوراطية هنا وشجع الدكتاتورية هناك، لكن في بلـداننـا المسلمة فلا شك أن الديكتاتورية لاسيما العسكرية تواجه بترحيب أكبر وتغذى بالمقويات والمنشطات التي تسعى كما نرى في البلدان الثورية في عالمنا العربي إلى جعلـه كسروية ثورية يتوارثها الدكتاتور الصغير عن السفاح الكبير، وهذا بالضبط ما ينـوح عليه الغرب ويلطم في مأتم الديكتاتور الشيوعي الكوري الذي حول »البرولتاريا« بقدرة قـادر إلى مؤسسة ماركسية عائلية مغلقة أمام المساهمين
هل نعود إلى مقولة »جين كارباتريك« ونعيد تقييمها على ضوء هذه المقارنة لنقول: إنها أكبر من مجرد زلة لسان وأقرب ما تكون إلى قاعدة مهمة في سياسة وصولية مستعمرة؟!

@المسلمون والعالم

وآإسلاماه:

ردة بين مسلمي الهند فماذا نحن فاعلون؟!

د. نفيس أحمد

المسلمون في أطراف »علي كراه« وبعض مديرياتهـا يقضون حياتهم في أسوأ درجات الفقر والتخلف، وبخاصة في الناحية التعليمية والاقتصادية، ولا توجد المدارس التي يتلقى فيها أبناء المسلمين العلوم الدينية والعصرية في هذه القـرى إذ أن جل الناس يعيشون في فقر وإفلاس، فلذلك لا يستطيعون بناء المدارس، ولا يعرفون أهمية التعليم في العصر الحديث، فضلاً عن أن يرسلوا أولادهم إلى الخارج للدراسة، وغـالب أبنـائـهـم يشتغلون في المزارع وتزويد المدن المجاورة بالحليب، ويعملون في النجارة أو الحدادة، وبعض الأعمال اليدوية البسيطة بوجه عام.
والشـيء الذي يفـزع كل مسلم، هو أن الأحزاب الهندوكية المتعصبة قد استغلت تخلف المسلمين وسوء حالتـهـم، فعملت جاهدة على إخراجهم من ربقة الإسلام، وقد عرفت هذه الحركة باسم »شدهي«، والحـزب الهندوكي الذي يؤدي الدور المهم في دعم هذه الحركة يُعرف باسم »بآديه سماج«، وتلك الـردة واقع يعيشه المسلمون، والمناطق المتأثرة بهذه الردة هي: »هاترس« »آكره« »اتيه«، »متهرا« في ولاية اترابرديش، و »بهرت بور« في ولاية رجستهان، إذ إن هذه المديريات متجاورة، وقد بلـغ عددها المائة أو أكثر ومعظم من يقطن هذه المنطقة هم طبقة »راجبرت«، وكان أكثر أفراد هـذه القبيلة قد دخلوا في الإسلام قبل عدة قرون، ولكنهم لم يجدوا التوعية الدينية والتربية الإسلامية رغم مضي عدة قرون على إسلامهم، ولم يفكر المسؤولون من الأمة الإسلامية في وضعهم التعليمي والاقتصادي، إذ إنهم لايزالون متمسكين بالتقاليد التي ورثوها، فلم يتغيرحالهم في قليل أو كثير، وقد سنحت للحركات الهندوكية المتعصبة فرصة بعد استقلال الهند، واستغلت الأوضاع وحاولت إقناع المسلمين بالارتداد، أو إغرائهم بمزاعمها بأنهم إنما كانـوا على الديانة الهندوكية من قبل، وأن الملوك المسلمين قد أرغموا آباءهم وأجدادهم بالقوة على ترك الديانة الهندوكية، ولم يعد هناك أي مبرر في استمرارهم على الدين الإسلامي، ويصبح من العسير نيلهم الوظائف في الدوائر ولا أي ضمان لنيل المال والحياة الكريمة ما لم يرتدوا إلى الهندوكية.

غير أن المسلمين الذين كانت عندهم الكرامة والغيرة، رفضوا شتى الإغراءات وهاجروا إلى باكستان، وقد ارتدت أكثر القرى التي بلغت حوالى مائة قرية بعد الاستقلال، والمسلمون من سكان هذه القرى لايزالون يتعرضون لمحاولات حثيثة لدفعهم إلى الردة، والمديريات والقرى الأخرى التي تأثرت بهذه الحركة هي كما يلي:

١- في »علي كراه« ونواحيها:

برساره، الله بور، كلوكانكله، سوجيا، سوجان، كرى رستم، نكله كهرني، كوكا كهريا، كمهرى، كيمار، ببكواره، وكيرو.

٢- في مديرية متهرأ:

كوهن بور، برى، بمورى، مان كانكله، بهينه، ملك بيور اسبار مادهرى كند، اندى، نوكايان، سيواميكو، برادلى، سيهى، حتى بوره يائى سرير، تهرا، سلطان بور.

٣- في مديرية آكره:

مريره، سلى نكر، سنيحكجه، سكراه، كاوا، واد، راى بها سكندره، كهداوائي، بحبورى، فتحبورى، يُسى جه، كهيره، بيرى، وأ اد يجائى نكله لجن، حسن بور، اروا، ساندهن، وكتيلا، وفي بعض القرى لا يوجد الآن أي مسلم، ففي ولاية راجستهان، وبصفة خاصة في مكان تسى كهيلى ببرو، جالنى كنج.

العوامل الكامنة وراء فتنة الردة:

من العوامل التي تؤدي إلى انتشار تلك الردة، الكتابة ضد الإسلام: فنسبة الهنود من المثقفين والمتعلمين في هذه المنطقة مرتفعة بالمقارنة مع المسلمين كما أن وضعهم الاقتصادي هو أحسن بكثير من المسلمين، فلديهم أسواق تجارية كثيرة وكبيرة، ويخصص التجار من دخلهم اليومي قسطاً معيناً لحركة »شدهي«، وتستعمل هذه الحركة ذلك القسط المعين لتنشيط العمل والدعاية ضد الإسلام، وتطبع الكتب بكثرة للطعن في القرآن الكريم والسنة، وتوزع مجاناً في موسم »هاترس«، الذي ينعقد في معبد »دأوجى مهراج« في »أغسطس« أو »سبتمبر« كل عام، وتزداد هذه الكتب في كل سنة، وتحتاج إلى الرد الدامغ عليها، وهذا ما لم يقم به أحد بعد، وتغرس روح الاستنكار والاستخفاف ضد الإسلام والمسلمين عن طريق هذه الكتب، والمسلمون لا يستطيعون الرد الصحيح بسبب قلة معرفتهم بالدين الإسلامي فيتأثرون بتلك الشبهات، وقد أصيبوا بمركب النقص بسبب النسبة المنخفضة في التعليم والاقتصاد، وبما يثار ضد الإسلام من دعاوى ومفتريات.

اختلاط المسلمين بالهندوس:

كما ذكر سابقاً فإن المسلمين يعيشون مع الهندوس ويتشبهون بهم في تقاليدهم إلى حد كبير، فأسماء الرجال والنساء من المسلمين متشابهة مع أسماء الهندوس، وننقل هنا بعض الأسماء على سبيل المثال: (حتربال سنك جندربال، راجبيرسنك، سرنام سنك، سكورام، انوب سنك)، هذه أسماء الرجال المسلمين كلها، أما أسماء النساء فهي سرشيلاديري ارملاديري تاراوتي وهنى)، والسبب في هذا هو تسهيل الالتحاق بالمدارس، فحينما يأخذ مسلم ولده للالتحاق في المدرسة يطالبه مدير المدرسة بتغيير الاسم ليكون مشابهاً لأسماء الهندوس، فيقول أب الولد المسكين: عيّن الاسم الذي تستحسنه لهذا الولد فيبدل المسؤول اسمه، ويسجل هذا الاسم في المستندات كلها مستقبلاً، ويعرف هذا الولد المسلم بالاسم الهندوكي.

وننقل هنا بعض أسماء الأولاد المحولـــة في الماضي القريب على سبيل المثال: (جمشيد علي، الاسم الجديد والمحول: مهندرسنك، محمد سليم الاسم الجديد والمحول: راجويرسنك، جميل أحمد، الاسم الجديد والمحول: ملكهان سنك)، وهناك شيء آخر وهو: حينما يذهب أي مسلم إلى مسجل البلد لتسجيل اسمه فيشير عليه بأهمية تغيير اسمه إلى اسم هندوكي بدلاً من اسمه الإسلامي.

ونتيجة لجهل المسلمين فهم يحتفلون بأعياد »هولي، ديوالي، رنكولي« الهندوسية، وعلى سبيل المثال فإن مراسم الزواج تتم كما يحتفل الهندوس بها تماماً، وإن تقاليد الزواج تشابه ما لدى الهندوس، وكثير من المسلمين يدورون سبع مرات حول النار وفق الطقوس الهندوكية مع خطبة النكاح، وبعضهم يكتفون بالدوران بدلاً من خطبة النكاح فحسب، ويوضع الطعام مثل الهندوكيين في أيام الزواج، ولا يستعملون اللحم قط، ويحتفلون بذكرى الأربعين للميت، ويأكلون فيه »بوا« الطعام الهندوكي، ويتصورونه طريقاً للثواب والعمل الصالح، ولو امتنع أحد منهم عن تلك الطقوس وصف بأنه »وهابي«!!، ويوجد جبل باسم »كوبردن« قريباً من »متهرا« يعبده الهندوس والهنود الذين لا يذهبون إلى كوبردهن في تاريخ معين، فهم يصنعون الجبل الصغير في بيوتهم للعبادة، وكثيرٌ من المسلمين في هذه المنطقة لجهلهم يفعلون ذلك في بيوتهم مثل الهندوكيين.

ثم إن المسلمين يلعبون القمار بكثرة مثل الهندوس في يوم »دهن تيرس« ويتفاءلون به للنجاح للسنة الآتية، وهم يلبسون دهوتي (اللباس الهندوكي الخاص) مثل الهندوس بوجه عام، ويحضر قليل من المسلمين للصلاة في يوم الجمعة والعيدين، وكذلك الصلوات الخمس.

الإغراء بالمال للردة عن الإسلام:

إن المسلمين كلهم يعيشون في فقر مدقع، وهم يرتدون إلـى الهنـدوكية بأتفه مقابل، مثل إسقاط الديون اليسيرة أو غير ذلك، ومن المسلمين الذين اختاروا المـذهـب الهندوسي في الأعوام الماضية على سبيل المثال: (كيندالال اختار المذهب الهندوكي لأجل مضخة يدوية مائية للحقل ؛ كبتان سنك، اختار المذهب الهندوسي لأجل ثلث ألف روبيـــة ؛ كيان سنك، مقابل العمل كفراش! ديوان سنك، مقابل اعطائه بعض المال.

وارتد أحد عشر مسلماً في »الله بوره، وبرساره« في نوفمبر وديسمبر ١٩٩١ م، وكلهم تقريباً أغروا بالمال، ويحتفل المسؤولون من »أريه سماج« احتفالاً كبيراً عند إجراءات ردة المسلمين، ويكـــون البوليس بكثرة في ذلك الوقت لترويع المسلمين، فيجمع وجـهاء الناس وكبار الزعمـاء من المنطقـة وتلقى الخطب ضد الإسلام والمسلمين علانية، لإظهار القوة للمذهب الهندوكي ويتأثر المسلمون بهذا العمل خوفاً، حيث يقود الرأسمالي الهندوسي المشهور »برلا« هذه الحركة لتؤدي دورها في انتشار الارتداد في هذه المنطقة.

وتُزَوَجُ البنات المسلمـات من الهندوس مقابل الأموال لآباء البنات بدافع الطمع والجهل بالدين، وأمـــا أبنـاء المسلمين الذين يدرسون الابتدائية والثانوية فهم يختاون المذهب الهندوسي ليتمكنوا من الزواج، وليجدوا المال الوافر مع تزويجهم من الهندوسيات، ومن ثم يُسَهّل المسؤولون الهندوس عملهم في الدوائر الرسمية.

ارتد أكثر القرى التي بلغ عددها أكثر من مائة بعد استقلال الهند إلى الآن، وكانت الردة بكثرة إبان استقلال الهنـد، لكن لاتزال هذه الظاهرة مستمرة، وجل زعماء مسلمي الهند يتجاهلون القرى التي ارتدت كلها، فيهدم المسجد فيها، ويستعمل حظيرة للدواب!!.

مخاطر المستقبل ومدارس المعبد الهندوسي (ششوديا):

وانتشرت حركة الردة إلى الآن بسبب تخلف المسلمين وسوء حالتهم في التعليم والاقتصاد، ولجهلهم بحقيقة دينهم، ولكن الحركات الـهنـدوكية قد اختارت حيلة جديدة، وهي تأسيس المدارس باسم

»التعليم والتربية«، حيث يُعلم الأولاد في هذه المدارس التعاليم الهندوسية مع الدراسات الأخرى التي تهاجم الإسلام والمسلمين ويزداد التهجم والاستخفاف ضد المسلمين بتدريس دعاوى اعتداءات الملوك المسلمين على الهنود، وقصص ملوك الهندوكيين أيضاً وقد أسست مدرسة في موضع سرجان في مديرية هاترس، التي يوجد فيها المسلمون بكثرة، وليس لهم سبيل لتعليم أولادهم إلا هذه المدرسة، فينشأوا على المذهب الهندوسي من حداثة السن.

فهلا تدبرنا وفكرنا فيما يحدث من قبل أن تكون العواقب رهيبة ومدمرة؟

الحركة القاديانية وأثرها بين المسلمين:

يستغل القاديانيون المسلمين أيضاً بسبب تخلفهم في التعليم والاقتصاد ولجهلهم بالإسلام، وقد نجحوا بخاصة في مدينتي »رجان وساندهن« وكثير من المسلمين قد قبلوا المذهب القادياني، وأسست لهم مدرسة من قبل القاديانيين ويلتحق بها أطفالهم مما جعلهم يتأثرون بمذهب القاديانية.

إهمال المسلمين الكبير:

غريب جداً ألا يعلم كثيرٌ من المسلمين شيئاً عن هذه الردة الكبيرة حتى الآن، ولا يقوموا بمحاولات جادة لإيقافها ودراسة أسبابها ووضع الحلول الناجعة لعلاجها سوى ما حصل في ولاية »راجستهان« قبل عدة أيام في منطقة »بهرت بور«.

هكذا توقف فتنة الردة:

لا يوجد أي نظام للتعليم العام والشرعي بوجه خاص لأولاد المسلمين وبناتهم في المنطقة كلها، لذلك يجب اتخاذ الخطوات التالية لعلاج هذه المأساة، وهي كما يلي:

١- تأسيس المدارس التي يدرس فيها التعليم الإسلامي مع العلوم الحديثة.

٢- تأسيس النوادي الإسلامية التي يلقي بها العلماء الخطب والنصائح الدينية في بعض المناسبات.

٣- تكتب الردود الدامغة على الكتب المعادية للإسلام التي توزع مجاناً بين المسلمين في المنطقة كلها.

٤- تأسيس كلية ثانوية عامة لأبناء المسلمين.

٥- إنشاء المشروعات التعاونية لإصلاح حال المسلمين والرفع من مستواهم الاقتصادي والتعليمي.

٦- فتح حسابات مالية لإعانة المسلمين الذين يرتدون بسبب الفقر.

ولا بد من توفير المال لإتمام الأعمال المذكورة مع الجهد المركز والاهتمام البالغ، وقد أسست مدرسة ابتدائية من قبل جمعية التعاليم الدينية في »الله بوره« وتُدَرّس فيها العلوم الإسلامية مع العلوم الحديثة، وقد بدأنا هذا العمل بعون الله تعالى مع فقدان كثير من الوسائل في أيدينا، وقد جاءت النتائج مفيدة بعد بدء هذا العمل، ولم يرتد أحد من المسلمين بعد ذلك وهم يشعرون بالثقة في النفس ولقد زار مسؤول الجمعية منطقتهم في كثير من الأحيان، والآن نحن نحتاج إلى مكان واسع لتأسيس الكلية والمدرسة الثانوية كما نحتاج إلى الأفراد الذين يبذلون الجهد والإخلاص.

بدأ هذا العمل برعاية اتحاد التعليم الديني »علي كره«، وهو فرع لمجلس التعليم الديني الذي يرأسه فضيلة الشيخ »أبو الحسن علي الندوي«، ويتولى أمانته العلامة الدكتور »اشتياق حسين قريشي« من »لكنؤ«، أما رئيس الفرع فهو »رحمة الله خان شرواني«، وخازنه البروفيسور »نجم الحسن« من جامعة »علي كره« الإسلامية، ويرعى هذا الاتحاد ثلاثين مدرسة أخرى في محافظة »علي كره«، والمساعي جارية لفتح مدارس أخرى كثيرة تعلم الطلاب عن طريق اللغة الأوردية مواد عصرية مع التعليم الشرعي الإسلامي.

هذا حال بعض المسلمين في الهند، فما هو واجـــب المـراكز الإسلامية الدعوية في عالمنا الإسلامي، وما هو واجب أغنيائنا والـمـوسـرين من المسلمين حيال الرفع من شأن إخواننا المغلوبين على أمرهم؟ ألا هل بلغت اللهم فاشهد!!..
والله نسأل التوفيق والسداد للجميع.

@المسلمون والعالم

حول موضوع الأكراد
- مناقشة وتعقيب -

محمد بن سليمان

في العدد (٧٦) من »البيان« المقال الموسوم بـ »أحفاد صلاح الدين بين مؤامرة الأعداء وخذلان الأصدقاء«، ولما كان هذا الموضوع مـن الموضوعات الشائكة حيث تختلط العاطفة مع القومية والإسلامية، كان لابد من رؤية إسلاميـــة تكون بعيدة عن ردود الفعل وضغط الأحداث، وقبل إبداء بعض الملاحظات على المقال التي هي مساهمة في إيجاد رؤية إسلامية، لابد من التمهيد التالي:

١- نحن نؤمن بالإسلامية، وليس عـنـدنا ولله الحمد أي نعرة قومية أو نظرة مجافية لأي شعب من الشعوب الإسلامية، وذلك حتى لا يظن ظان، أو يتهم متهم.

٢- إن القضايا التي تهم أمر الأمة لا يـصـلـح لهـا التدسس للعواطف على حساب الحل السليم والنظرة الواقعية، ولا يصلح لها إلا المصارحـــة وقول الحق ولو كان مراً، ومعالجة المشكلة من جميع جوانبها.

٣- إن الأمة الإسلامية تجمع شعوباً شتى ولغات شتى، والأصل هو انصهار هذه الشعوب في بوتقة الإسلام، والإسلام لا يضاد الأشياء الطبيعية مثل أن ينتسب الإنسان إلى قبيلة أو شعب، ولكنه يحارب العصبية القبلية أو العصبية الشـعـوبـية: ((وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم))، ومشكلة الشعوب الإســـلامية مشكلة واحدة سواء أكانوا عرباً أو عجماً، وهي البعد من منهج الله، والتخلف الذي ضرب بجرانه منذ سنين متطاولة.

٤- إن أي مشكلة لا تحل برد الفعل، فإذا كان الترك العلمانـيـون رفـعـــوا شعار القومية الطورانية، وبعض العرب رفعوا شعار القومية العربية، فالحل لا يكون برفع شعار القومية الكردية، وإنما بالرجوع إلى مصدر القوة والوحدة والتقدم، وهو الإسلام.

بعد هذا التمهيد أقول لكاتب المقال:

١- لماذا هذا التهويل في الألقاب، فهل أكراد البرزاني والطالباني والحزب الكردستاني في تركيا، هل هؤلاء أحفاد صلاح الدين حقاً؟ وأكثرهم فاسدون جهلة، شيوعيون وعلمانيون، ومن الطبيعي أن يقال أيضاً أن عرب اليوم من الجهلة أو الذين لا يريدون المنهج الإسلامي ليسوا أحفاد عمر بن الخطاب أو خالد بن الوليد، ولا أتراك اليوم أحفاد نـــور الدين أو محمد الفاتح..

٢- إن لهجة المقال وفي الصفحة الثانية منه توحي بأن االأصل عند لأكراد هو الانفصال، فهم في الـدولـة الإسلامية: »وشاركوا في كثير من الأحداث التاريخية، وقامت لهم دول، وفـيـهـم علماء...«، وأقول للأخ الكاتب: هذا شيء طبيعي لأن كل الشعوب التي أسلمت اندمجت في المجتمع الإسلامي الواحد، ولم يعد هناك هذا التمايز فالأتراك شـاركـــوا ومسلمو الهند شاركوا، والبربر شاركوا، فهل نعود الآن ليفتخر كل شعب بـمـــا عـمـل، ونثيرها عصبية مشوبة بالإسلامية؟

ومن أغرب الأشياء أن يقول الكاتب: إن دولة صلاح الدين كانت دولة كردية، وهل فَكّر صلاح الدين رحمه الله بهذا التفكير أم أقام دولة إسلامية وكان أستاذه في هذا هو السلطان نور الدين محمود التركماني؟

وأما نقلك عن علماء الأكراد أن الغرب يعاديهم لأن صلاح الدين منهم وهو الذي طرد الصليبيين، فهذا أيضاً من التهويل الذي لا يحمد فالغرب يعادي الإسلام والمسلمين من أي انتماء كانوا، وصلاح الدين رحمه الله من أبطال الإسلام، ولكنها نظرة ضيقة للأمور، وللأتراك أن يقولوا: الغرب يعادينا لأن الدولة العثمانية دكت حصون الغرب وقلاعه لمدة ثلاثة قرون، والعرب يقولون: إن عداء الغرب لهم أكبر من أي عداء لأنهم هم الذين حملوا الدعوة الإسلامية إلى الشعوب في أنحاء العالم.. وإذا شجعنا هذه النغمات فماذا نقول للبربر في شمال إفريقيا أو لسكان جنوب السودان، أو لكل طائفة إسلامية لا تتكلم العربية؟!

٣- والأعجب من هذا أن يقول الكاتب: إن هناك رأياً منصفاً في مصطفى البرزاني، ويقول: »انظر: علماء الأكراد« مع أن أمر البرزاني وعلاقته مع إسرائيل وعلاقته مع الشيوعيين في موسكو، أمر مشهور وقد اعترف ابنه مسعود في مقابلة مع مجلة (المجلة) بعلاقة والده هذه، وأما علاقة الطالباني وغيره من الأحزاب العلمانية الكردية مع إسرائيل، فيكفي أن يرجع الكاتب إلى الصحف والمجلات الصادرة بعد حرب الخليج.

٤- هل تُشَجّعُ اللغة العربية أم الكردية، والمفروض على الأكراد وغيرهم من الشعوب الإسلامية أن يتعلموا العربية، لأنها لغة الإسلام ولغة القرآن والسنة والثقافة الإسلامية، ونحن نعلم أن هناك دعاة مخلصين في صفوف الأكراد يعلمون العربية، وينشرون الوعي الإسلامي والعلم الشرعي، ونحن لا نخاطب هؤلاء وإنما الذين يدندنون حول اللغة القومية ويغيرون أسماءهم أو أسماء أبنائهم من العربية إلى الكردية، كما أننا نعلم صعوبة تعلم العربية بالنسبة للشعوب الإسلامية، وأنها تحتاج لإرادة ووقت، وأنه لابد من ترجمات للعلوم الإسلامية، ولكن الأصل هو تعلم العربية.

٥- في بداية المقال ذكر الكاتب أن من أسباب تطور ملف الأكراد »ازدياد الاهتمام بقضايا حقوق الإنسان، ومطالبة الأكراد بحل تاريخي على غرار حل الصراع العربي الإسرائيلي«، وكأن الكاتب يوافق على هاتين النقطتين، فهل هناك فعلاً اهتمام بحقوق الإنسان المسلم أم أن الغرب يدغدغ عواطف المسلمين بهذه الكلمات الطنّانة؟ وهل يوافق الكاتب على هذا الحل العربي الإسرائيلي؟ وهل الأكراد المسلمون يوافقون على هذا الحل؟!

٦- وأخيراً أقول للأخ الكاتب: إن مشكلة الأكراد هي مشكلة كل مسلم ولا شك في أنهم ظلموا من الأنظمة التي يعيشون في ظلها كما ظلم غيرهم أيضاً، ويجب على المسلمين مساعدتهم في وضعهم الحالي في شمال العراق، وعلى الدعاة استغلال هذه الفرصة لبث الدعوة وتعليم الناس أمور دينهم وإنشاء المدارس... وأما على المدى البعيد فلماذا لا يتعاون المسلم الكردي مع المسلم التركي للوقوف أمام الزحف العلماني؟ ولماذا لا يتعاون الأكراد في إيران وهم من أهل السنة مع أهل السنة هناك؟ وإن مشكلة الكردي المسلم هي مشكلة العربي المسلم، فلماذا لا يتعاون الجميع لإقامة شرع الله، والدول لن تسمح أبداً بحل انفصالي فلماذا لا نرجع إلى الأصل وإلى الحل الصحيح وهو الإسلام؟!

تعقيب على المقال:

وقد تم عرض هذا النقد على كاتب المقال وأفاد بالآتي:

أشكر للكاتب الكريم وجهة نظره التي لا أشك في أنها ناتجة عن غيرة إسلامية، وأحب أن أضع بين يدي القارئ الكريم بعض ملحوظاتي على المقال فيما يلي:

١- حينما دعوت إخواننا الأكراد بأنهم أحفاد صـــلاح الدين، إنما كنت أعني استجاشة شعورهم الإسلامي بربطهم بقائد مسلم منهم، ولعلم الأخ الكـريـــم أن الأكـــراد العلمانيين يعتبرون صلاح الدين خائناً للقضية الكردية! هكذا يزعمون، ثم من قال أن المـعـني بأحفاد صلاح الدين حزب البرزاني أو الطالباني بينما المقال يحذر من التعامل معهم؟!

٢- لا يمكـن بحال أن يفهم القارئ للمقال أن فيه دعوة قومية، وقد بيـن المقال أن من أسباب فشـل انتفاضتهم كونها كانت ذات منطلق قومي ومعاذ الله أن يكون ذلك الوهم في ذهن الكاتب.

٣- لا أدري كـيـف يفهم الكاتب أن الأصل في المقـال هو انفصـال الأكراد وقد أكدت على خطأ ذلك، وأن أي توجه انفصالي سيعود سلباً على مصلحة هذا الشعب المسلم، وسيستغل من أعدائه أبشع استغلال.

٤- لا يمكن أن أدعو إلى اللغة الكردية على حساب لغة القرآن الكريم، ولكن لنكن واقعيين أكثر، فهل ندع دعوة إخواننا الأكراد وتوعيتهم حتى يتعلموا لغة القرآن، أم أن دعوتهم بلغتهم ضرورة مع أهمية بل ضرورة تعلمهم لغة القرآن الكريم؟! وهذا محل اتـفـاق والحمد الله.

٥- أما أن الأكراد يطالبون بحل تاريخي وذكر بعض الحلول، فهذا لسان الكثيرين منهم، وتلك الحلول لا يعني وصفها بالتاريخية أنها صحيحة أو مطلوبة، لكنها حديث الساعة ولا يمكن بحال أن تحل مشكلات المسلمين إلا بحلول إسلامية مهما طال الزمـان، وهذا ما نتفق عليه.

٦- أما ما ذكره الأخ الكريم في تعقيبه عن البرزاني فقد كـنـت أرغـــب ويرغب غيري في توثيق ما ذكره عنه، وليس الإحالة إلى مجهول، وبخاصـــة وأن الرجـل قد أفضى إلى ما قدم، وإن كان الواجب ذكر الحقائق مهما كانت مرة.

جزا الله أخانا خيراً ووفقنا وإياه إلى ما يحبه ويرضاه.

@المسلمون والعالم

مأزق الإعلام العربي في حرب اليمن

د. محمد البشر

المتتبع لتغطية الكثير من وسائل الإعـــلام الـعـربـية للحرب اليمنية الأخيرة والإرهاصات السياسية التي سببت اندلاع الحرب، وتأثيرها على مرحلة ما بعد الحرب يلحظ العجب العجاب، فمنذ بداية الأزمة يشعر المتابع لتلك الـوسـائـل الإعلامية أن الإعلام العربي لم يتحرر بعد من عبوديته العمياء للنزوات والأهواء السياسيـة الشـخـصـيـة، ولم يستفد من الدرس القاسي الذي حصل في حرب العرب مع إسرائيل عام ١٩٦٧ م، عـنـدما ضلل هذا الإعلام الجماهير العربية حتى ظنت أن إسرائيل قد هزمت هزيمة ساحقة، وأبـيـدت عن بكـــرة أبيها، ولن تقوم لها قائمة، فإذا بالإسرائيليين يردون على هذا الزيف الإعلامـي بضربة قاصمة قبل أن تشرق شمس الصباح، لتوقظ الشعوب العربية على حقيقة مُرة كشفت زيف إعـلامـهـــا الذي لم يكن إلا وسيلة لتمجيد الاستبداد العسكري والتسلط السياسي، وقناعاً يتوارى خـلـفـه الذين كرسوا أنفسهم لتعبئة الجماهير ونفخها بالشائعات والرسائل المزيفة.

ومع أن الفارق الزمني بين عامي ١٩٦٧ و١٩٩٤ م كـبـيـر وشاسع، وخليق بأن يجعل هذا الإعلام يستفيد من ذلك الدرس الذي تلقاه وأن يعي أبـعـاده، إلا أن الأحداث الأخيرة في اليمن أثبتت بما لا

يدع مجالاً للشك أن مأزق هذا الإعلام سيظل اليوم وغداً ومستقبلاً كما كان بالأمس مادام يدور في فلك الأهواء السياسية التي توجهه، ومادام هو أيضاً يقبل بهذا التوجه ويتلقاه بطاعة عمياء وتزلف لا حدود له.

قد يقول قائل إن أي مؤسسة إعلامية لا تستطيع بأي حال من الأحوال أن تنفك عن التوجه السياسي الذي تنتمي إليه، حتى لو كان ذلك في البلاد الغربية التي تدعي حرية الرأي و »ديموقراطية« الفكرة، ويُرد على هؤلاء بالقول إن »تبعية« الإعلام العربي للتوجيه السياسي لا يمكن مقارنتها بغيرها من أنواع التبعية الإعلامية الأخرى، فالإعلام العربي كالشاعر الجاهلي يبالغ في المديح ويقذع في الهجاء، وقد كان مديحه وهجاؤه في أحداث اليمن يتعدى مسألة المبالغة في الوصف إلى التضليل والخداع وتزييف الحقيقة، وقد تمثل ذلك في الزخم الإعلامي الهائل الذي وقف بقوة في صف الحزب الاشتراكي يساند فكرته، ويناضل عن رموزه، ويروج لمبادئه في داخل اليمن وخارجها، حتى استيقظت الشعوب العربية على الحقيقة التي لا تقبل الزيف، ولا ترضى بالمخادعة، واكتشفت الشعوب العربية أن الحقائق الصامتة التي كانت تجري على أرض اليمن ونالت تعتيماً إعلامياً يعجز الإنسان عن وصفه، كانت مغيبة عنه وأدركت أيضاً أن هذا الإعلام إنما كان فقط يزاول مهمة التأثير في صياغة الرأي العام، وإعادة تشكيله حتى ينسجم مع السياسة المرسومة له، حتى لو كانت هذه السياسة قد بان عوارها وتكشف زيفها.

وإن تعجب فعجب لبعض مؤسسات الإعلام العربي التي حاولت أن تلتزم بمعايير الموضوعية والحياد في تغطيتها لأحداث اليمن عندما كانت في أيامها الأولى، لكنها ما لبثت أن أصيبت بالداء الذي أصاب غيرها، فغيرت من خط مسارها، وانحرفت بشكل ملفت للنظر وبدون سابق تخطيط أو إشعار وانضمت إلى قافلة المهرجين وركب المزيفين، فخسرت جمهورها أولاً وخسرت المؤسسات الإعلامية الأخرى التي كانت تنقل عنها ثانياً.

أما الوجه الكالح والمزيف لهذا الإعلام فقد تمثل في عجزه عن التعامل مع الواقع بعد أن تكشفت الحقائق وانتهت الحرب، واستمر في ممارسة دوره في التضليل والترويج للفكرة المهزومة، وبات يردد كلمات وعبارات مثل: »الانتصار الملغوم« و »سقطت الدولة ولم تسقط الفكرة« و »اختفى الحزب الاشتراكي كرقم عسكري في الساحة اليمنية لكنه يظل رقماً سياسياً مهماً ومطلوباً لتحقيق التوازن مع الإسلاميين« و »بقاء الحزب الاشتراكي أصبح ضرورة وطنية وإقليمية ودولية لمواجهة أي احتمالات أصولية«، وغير ذلك من الجُمل والعبارات والمصطلحات التي أصبحنا نسمعها في هذا الوقت بالذات أكثر من أي وقت مضى.

وفي ظني أن هناك سبباً آخراً لهذا الزيف والتضليل الإعلامي العربي المتعمد الذي صاحب أحداث اليمن الأخيرة، وهو أن بعض الصحف العربية قد فتحت أبوابها مشرعة لكل مغضوب عليه، ولكل ناقم على مجتمعه، ولكل منفي وصاحب »ثأر«، ولكل مغرض وصاحب هوى لكي يمارس تضليل الآخرين من خلال هذه الصحافة الموبوءة، ولذلك فإن هذه الصحافة في نظر أمثال هؤلاء تمثل مصدراً للرزق ووسيلة للتشفي.

ومادام حال الإعلام العربي بهذه الصورة، فإنه سيظل يمارس وظيفته في تضليل الرأي العام وصياغته من خلال السياسة التي تُملى عليه، لكن المهم أن تدرك الشعوب العربية هذه الحقيقة، وأن تبحث عن البديل الذي يحترم عقل الإنسان.

بعد الحرب:
اليمن يمر بأخطر مرحلة

أيمن بن سعيد

بعد أن توقف الاقتتال في اليمن، ووضعت الحرب أوزارها، بدأ الكثيرون في الحديث عن مستقبل اليمن في ظل الوضع الراهن الذي أفرزته (الأزمة)، ونحاول في هذه المعالجة استشراف المستقبل حيالها وإلقاء الضوء على معطياتها سواءً أكان ذلك فيما يتعلق بالوضع الداخلي اليمني، أو فيما يتعلق بالموقف الخارجي.

من معالم المستقبل اليمني:

لقد أفرزت هذه الحرب العديد من الافرازات، ستشكل بمجموعها المستقبل اليمني، ولعل من أبرز معالم تلك المرحلة في ضوء المعطيات المتوفرة ما يلي:

* ازدياد ثقل الحركة الإسلامية، وكسبها للمزيد من التأييد الشعبي في الشارع اليمني، بالإضافة إلى تعاطف بعض القادة العسكريين معها، وتحسن النظرة إليها لدى كثير من الرموز الاجتماعية المؤثرة، وفي مقابل ذلك ازدياد الضغوط الخارجية على الرئيس اليمني للعمل على تحجيم دور الإسلاميين وعدم السماح لهم بالسعي إلى التفرد بالشارع اليمني وحصد الكثير من المكاسب بعد سقوط الحزب الاشتراكي المنافس العقدي المنظم لهم، وعدم القابلية لدى جل اليمنيين للكثير من رموزه.

مما يعني والله أعلم أن من أبرز معالم المرحلة القادمة الصراع بين الحركة الإسلامية والقيادة الحالية عند رضوخها للضغوط المتوالية عليها، مما سيؤدي إلى انحسار شعبيتها وعدم استقرار الوضع الداخلي.

وإذا سلكت القيادة اليمنية هذا المسلك، فإنها ستعمل على إبراز الكثير من الرموز العلمانية في الداخل ذوي العداء الصارخ للتوجه الإسلامي، من أجل مزيد من الاستفزاز لشباب الحركة الإسلامية، وبالتالي جرهم إلى ممارسات يريدها أولئك لتكون ذريعة لضرب المكتسبات الإسلامية الحالية في كثير من المجالات.

وربما تكون الخطوة الأولى في هذا الاستفزاز تحجيم الوجود السياسي للحركة الإسلامية وسلوك العديد من الخطوات القانونية للتضييق عليها، ومنها القيام بالدعوة إلى انتخابات نيابية مبكرة من أجل التخلص من الوجود الإسلامي المميز في البرلمان الحالي، والإتيان ببرلمان جديد يساعد على تمرير تلك التوجهات للتأثير على الشارع اليمني.

أما في حالة عدم الرضوخ لتلك الضغوط، فإن من أبرز معالم المرحلة القادمة: وجود تماسك داخلي بين الدولة وعامة الشعب، وربما يؤدي ذلك إلى تحريك المعارضة في الخارج عن طريق كوادرها في الداخل للقيام باضطرابات داخلية، مما سيؤدي إلى توجيه بعض التهم للنظام كانتهاك حقوق الإنسان ودعم التطرف ورعاية الإرهاب..الخ، وفي نظري فإن القيادة ستحاول الإمساك بالعصا من الوسط من أجل القيام بإجراء شيء من التوازن بين الضغوط الخارجية والداخلية، وستجد لها مؤيدين في هذا الاتجاه من القوى الدولية المؤثرة كالولايات المتحدة على سبيل المثال.

وفي حال اضطرار القيادة اليمنية إلى اتخاذ قرار لمصلحة إحدى الجهتين فإن من المؤكد أنه سيكون لمصلحة الضغط الخارجي، مما يعني الدخول في صراع ومواجهة مع الحركة الإسلامية.

وقبل إنهاء الحديث عن هذا المعلم المحتمل، لابد من تسجيل ظاهرة برزت بعد الحرب وبقوة وهي تداعي العلمانيين من ساسة وإعلاميين في داخل اليمن وخارجه، لإثارة المخاوف لدى القيادة

اليمنية من بروز التيار الإسلامي الذي كان له دور مؤثر في هذه الحرب، ولعل أبرز المخاوف التي يبثها أولئك:
التخويف من ازدياد شوكة الإسلاميين مما قد يفقد القيادة الحالية نفوذها ويحرمها من التفرد بالكلمة الأولى في البلاد.
أن ذلك سيؤدي إلى عدم استقرار اليمن لأن العلمانيين في الداخل ومن خلفهم في الخارج سيقلبون الطاولة، وسيستمرون في المعارضة وبقوة مما يعني إحراجاً شديداً للدولة.
إيهام القيادة اليمنية بأن حاجتها إلى الإسلاميين قد ضعفت إن لم تكن قد انتهت بعد ضرب قوة الحزب الاشتراكي.
التهديد بأن التحالف مع الإسلاميين سيعني خنق البلد اقتصادياً والتضييق عليه سياسياً، واتهامه بدعم الإرهاب والتطرف وانتهاك حقوق الإنسان.
ومع أننا لا ننتظر من التيار العلماني غير هذا التحريض والمكر والخداع إلا أنه لابد من القول بأن عدم إعطاء الإسلاميين المكاسب التي يستحقونها سيؤدي إلى عدم الاستقرار في اليمن، وسيكون الأمر كما هو موجود في دول أخرى كالجزائر، نظراً لطبيعة البلد الجغرافية والاجتماعية ولا نتشار السلاح مع الشعب بشكل قد لا يكون له نظير في أي بلد من بلدان العالم.
* من المتوقع أن يكون من أبرز معالم المرحلة القادمة إضعاف وإسقاط الكثير من الرموز السياسية والاجتماعية التي أيدت الحزب الاشتراكي وتحالفت معه، بالإضافة إلى بعض من القيادات والشخصيات غير المرغوب فيها وبخاصة التي وقفت مع الإنفصاليين وأيدتهم.
* بروز قيادات جديدة في المحافظات الجنوبية والشرقية خلفاً لقيادات الحزب الاشتراكي، والغالب أنها ستكون من أتباع الرئيس السابق »علي ناصر« الذي يُلَمّع بشكل ملفت للنظر.
* وجود مزيد من الحريات وبالأخص لأصحاب الفكر غير المعارض للحكومة سواءً أكانوا محسوبين على الإسلام أو علمانيين، ووجود نوع من التنافس بين أصحاب الاتجاهات الفكرية المختلفة وبخاصة في المحافظات الجنوبية والشرقية بعد الفراغ العقدي والنفسي الكبير الذي أحدثه سقوط قوة الحزب الاشتراكي.
* ازدياد تردي الوضع الاقتصادي كاستمرار انهيار العملة، وازدياد أسعار السلع الأساسية، وارتفاع معدلات البطالة، وقلة فرص العمل، وتوقف الكثير من المشاريع التي كانت قائمة وبالأخص في محافظتي عدن وحضرموت، نظراً لأن دخول البلاد ستصرف على الأقل في المنظور القريب على قادة الجيش وبعض الشخصيات السياسية البارزة من أجل كسب ولائها للرئيس ولحكومته، بالإضافة إلى انصراف الجزء الأكبر منها على فوائد المديونية الكبيرة على اليمن، وتوقف بعض أصحاب رؤوس الأموال عن تقديم الدعم نتيجة عدم رضاهم عن النتائج التي أفرزتها الحرب.
* سعي القوى الانفصالية في الخارج والداخل إلى تعميق روح »المناطقية« بين أبناء الشمال والجنوب، وإثارة النعرات المذهبية، وإثبات أن أبناء الشمال يريدون إلغاء الوجود البارز لأبناء الجنوب، وأنهم يعاملونهم كمواطنين من الدرجة الثانية أو الثالثة، من أجل كسب التعاطف معهم ضد قوات الحكومة والرموز الوحدوية المختلفة.
* من المعالم المهمة في مستقبل الأوضاع اليمنية، وضع التراتيب الإدارية من قبل الحكومة لتثبيت ودعم الوحدة في اليمن، بعدما زالت أكبر العقبات في سبيل ذلك.

نظرات في مستقبل الحزب الاشتراكي:

حين قرر الزعيم الاشتراكي علي سالم البيض ومن حوله اتخاذ قرار الانفصال، انقسم قادة الحزب الاشتراكي في المكتب السياسي واللجنة المركزية إلى مؤيد لقرار الانفصال ومعارض له، والذين

قاموا بتأييد قرار الانفصال ساروا مع البيض إلى النهاية، وبعد الهزيمة التي حلت بهم فر من بقي منهم إلى خارج البلاد، أما الذين عارضوا قرار الانفصال فقد أعلن بعضهم تأييده للوحدة، وهؤلاء كان غالبهم في صنعاء فيما بقي بعضهم معتكفاً في منزله ومنهم من غادر البلاد والتزم الصمت.

وبين يدي الحديث عن مستقبل الحزب الاشتراكي لابد من الحديث عن كل من الإنفصاليين والوحدويين كلاً على حدة.

أولاً مستقبل الانفصاليين:

لم يبقَ أحد من هؤلاء داخل اليمن بل فر من بقي منهم على قيد الحياة إلى خارج البلاد، ومستقبل هؤلاء مرتهن بنوايا الدول التي ساندتهم أثناء الأزمة فإن رأت أن من مصلحتها التوقف عن مساندتهم أو أن الوضع لا يسمح لهم بالقيام بمثل ذلك، فإن هذه الفئة ستختفي وستعتبر هزيمتها العسكرية بمثابة نهاية حياتها السياسية، أما إذا رأت تلك الدول أن من مصلحتها الاستمرار في رفض نتيجة الحرب وأن بإمكانها استخدام هذه الفئة كورقة ضغط لتحقيق بعض المكاسب، فإن الإنفصاليين في الحزب الاشتراكي سيكونون في دائرة الضوء لمعارضة النظام القائم، وعند ذلك يمكن لهم أن يقوموا بأمور عدة منها:

القيام بحرب استنزاف عن طريق العصابات المختلفة، مثل تفجير المنشآت واغتيال بعض الرموز الوحدوية، واحتجاز وقتل بعض الأجانب الذين تسمح الظروف بممارسة ذلك ضدهم.

شراء ذمم بعض القبائل لتسمح للعصابات بالعمل من أراضيها والاحتماء بها بعد انجاز مهماتها التخريبية.

شراء ذمم بعض الرموز السياسية لتأييد موقفها بأي شكل، هذ من جهة ومن جهة أخرى ليتسنى للمعارضة كشف استراتيجية الحكومة في مواجهة نشاطاتها المختلفة.

الاستمرار في إثارة النزاعات العرقية والقبلية، وإثارة المذهبية والمناطقية في سائر الأراضي اليمنية.

استخدام قراري مجلس الأمن ٩٢٤ و ٩٣١ مدخلاً لنظامية المعارضة الخارجية، لكونهما ينصان على ضرورة الحوار بين طرفي النزاع وعدم حسم الصراع بالقوة لمصلحة طرف واحد والقول بأن إنهاء الأزمة عسكرياً لن ينهيها سياسياً، والوضع في الجزائر خير مثال.

عودة المعارضة المسلحة ستدمر البلد اقتصادياً بوسائل عديدة لا تخفى على المتابع الحصيف، وضرب البلد سياسياً عن طريق التأثير على موقف بعض الدول العربية والإسلامية، وإيهام صناع القرار في الدول الغربية أن مصالحهم تكمن في عدم الاستقرار في اليمن وأن تمكنهم من استنزاف خيرات البلاد لن يتم إلا عن طريق المعارضة في الخارج في حال وصولها إلى الحكم.

ثانياً مستقبل الوحدويين:

وهذا الجناح هو الذي ستسمح له القيادة بأن يكون المتحدث باسم الحزب الاشتراكي، وأعتقد بأن هناك خيارات عدة أمام هؤلاء في حالة رغبتهم الاستمرار في الحياة السياسية ولعل من أبرزها:

بقاؤهم متحدثين باسم الحزب الاشتراكي، وارثين لمواقعه في السلطة وعند ذلك من المتوقع أن يكون بعضهم ممثلاً للمؤتمر الشعبي العام داخل الحزب، كما أن الآخرين سيبقون على ما كانوا عليه من فكر وسلوك سياسي، ولكن بشرط عدم مجاوزتهم للخطوط الحمراء التي لا يُسمح بتجاوزها، وهذا هو والله أعلم أقوى الخيارات.

من المحتمل أن يعلن هؤلاء عن حزب جديد يقوم على أنقاض حزبهم البائد، من أجل التخلص من اسم الحزب ذي الدلالات العقدية من جهة والتبرؤ من الانتماء للحزب الذي تسبب فيما تسبب فيه من خراب ودماء ولتفادي السخط الجماهيري ضده.

أن ينضم أولئك الوحدويون في الحزب إلى بقية الأحزاب السياسية الأخرى وبالأخص حزب المؤتمر الشعبي العام.

حرب اليمن بين المصالح والمفاسد:

لا يخلو كثير من الأمور من وجود خير وشر، إلا أن الأزمة اليمنية أثمرت العديد من الجوانب الخيرة، كما أنها أدت إلى الكثير من الآثار السيئة وسنحاول هنا إيضاح أهم ما تحقق أو يمكن أن يتحقق من مصالح وإيجابيات ومن مفاسد وسلبيات:

أ -من المصالح والإيجابيات:

* سقوط قوة الحزب الاشتراكي وكبار قياداته، مما يعني تحرر المحافظات الجنوبية والشرقية من هيمنته، وحصولها على مزيد من الانفتاح والحريات.

بروز قوة الإسلاميين في الساحة اليمنية، وكسبهم السمعة الحسنة وتعاطف الكثيرين من أبناء الشعب اليمني معهم.

* انفتاح مجالات جديدة للدعوة إلى الله تعالى أحدثها السقوط الكبير لقوة ونفوذ الحزب الاشتراكي، التي يمكن للدعاة والمصلحين الاستفادة منها وجني ثمارها.
* تهيؤ الفرصة للنظام للتمكن من توحيد الجيش والعملة وكثير من مؤسسات الدولة، ومركزية الدخل العام للدولة مما يعني تحسناً اقتصادياً متوقعاً بعد زوال بعض آثار الأزمة.
* ضعف الأفكار البدعية من رافضة وصوفية والتي ارتبط رموزها بالحزب الاشتراكي وسقوط بعض الرموز النفعية والمتسترين بالدعوة إلى الله من ذوي الهوى والنزعات الطائفية.

ب -من المفاسد والسلبيات:

* خسائر الحرب البشرية والمادية الكبيرة وما سببته الأزمة من ضعف وإنهاك للاقتصاد ومن معاناة لأبناء اليمن وبخاصة في محافظات عدن ولحج، وأبين.
* آثار الحرب العقدية والنفسية، حيث برزت المناطقية، وظهرت ولاءات جديدة غير إسلامية كالولاء والتقديس للوحدة أياً كانت، والتأييد لما يسمى بالديمقراطية، والتعددية السياسية والشرعية الدستورية.
* إبراز حزب المؤتمر الشعبي العام لبعض كوادره المنحرفة عقدياً، وعودة ما كان يعرف بـ »الزمرة« أنصار »علي ناصر« إلى الحياة السياسية.
* زيادة فرص تحجيم دور الإسلاميين أو محاولة ضربهم من قبل النظام في المرحلة القادمة، لما ألمحنا إليه.
* قتل وإعاقة الكثير من الكوادر الخيرة والشجاعة في الشعب اليمني سواء أكانت داخل الجيش أو في القوى المساندة له أثناء الحرب.

المطلوب من الإسلاميين في هذه المرحلة:

* إدراك خطورة المرحلة:

لقد بذل الإسلاميون كل ما يستطيعون من أرواح ودماء وأموال ومواقف وآراء من أجل التأثير على الرأي العام اليمني، لدرء أعظم المفاسد والتقليل من مخاطر هذه المرحلة، إلا أن الأعداء قد رموهم عن قوس واحدة محاولين تحجيم دورهم والتقليل من شأنهم، وحرمانهم من قطف الثمار التي يستحقونها وبالتالي لابد لهم من إدراك خطورة المرحلة المقبلة وإعداد العدة لذلك حتى لا يتمكن الأعداء من تطبيق قاعدتهم الشهيرة "»الإسلاميون: تضحيات بدون مكاسب" ولن يتحقق للإسلاميين ذلك إلا باجتماعهم على كلمة سواء ومعرفة أن الأعداء قد يسعون إلى ضرب فصيل منهم اليوم وتحييد الفصائل الأخرى ليجهزوا عليها غداً الواحد تلو الآخر(إنما أكلتُ يومَ أكلَ الثور الأبيض).

وليعلم الجميع أن كيد الأعداء لا يستهدف شخص أو فصيل وإنما المراد به الإسلام ذاته، وبالتالي فلابد من إجراء خطوات سريعة من الإسلاميين لرأب الصدع وإصلاح الأوضاع فيما بينهم عن طريق التحاكم إلى نصوص الشرع وتناسي الإحن والأحقاد الناتجة عن آراء اجتهادية أو مواقف شخصية لهذا الداعية أو ذاك، وفي حال عدم التوصل إلى شيء من ذلك فلابد من تأخير النقاش فيها قليلاً والتوجه إلى مواجهة الخطر الأكبر الذي قد يجتاحهم.

*** التأني والواقعية:**

سقوط قوة الحزب الاشتراكي وقياداته لا يعني التهاون في الإعداد للمرحلة المقبلة، وبالتالي فإن على دعاة الإسلام في اليمن أن يتبصروا في أمرهم وأن يتأنوا وأن يلتزموا بالانضباط بالقواعد الشرعية، حتى لا يقعوا في منزلقات خطيرة.

*** المزيد من المكاسب للدعوة الإسلامية:**

في هذه المرحلة التي برزت فيها مكانة الإسلاميين، يمكن لهم تحقيق العديد من المكاسب، ومنها على سبيل المثال:

* تثبيت المعاهد العلمية ومدارس تحفيظ القرآن رسمياً، وزيادة أعدادها وميزانياتها، والمبادرة إلى فتح أعداد كبيرة منها في المحافظات الجنوبية والشرقية، مع السعي إلى إعطائها استقلالاً إدارياً كما كان الوضع في السابق.
* المطالبة بالإشراف على قطاع التربية والتعليم واخراج الكوادر والقيادات ذات الفكر المنحرف منها، وإصلاح المناهج المصادمة للإسلام عقيدة وشريعة وسلوكاً.
* السعي إلى إجراء إصلاحات واضحة في مجال التعليم العالي، وتنحية الرموز المشبوهة القائمة عليه.
* تربية شباب الصحوة وعامة الشعب على إنكار المنكرات العامة المنتشرة في اليمن، والسعي إلى توجيه أهل الجرأة من العلماء والدعاة والأعيان لتكوين نواة لهيئات رسمية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
* استغلال الفرصة لإصلاح السلك القضائي ومعالجة ما فيه من سلبيات كانتشار الفساد والرشوة لدى بعض القضاة، ووجود من لا يجوز توليه هذا المنصب وبخاصة النساء.
* إجراء مزيد من الإصلاحات في جوانب الاقتصاد والإعلام والصحة والسعي إلى أسلمة هذه الجوانب وإشراف الكوادر الصالحة من أبناء الصحوة أو من غيرهم عليها.
* التخلص من علماء السوء والفتنة من أهل الرفض والتصوف ومنعهم من الصعود على المنابر لإفساد عقائد المسلمين واستبدالهم بمن يخاف الله ويتقيه.
* المبادرة بإلغاء القوانين المخالفة للشرع حتى لا تكون حجة لأعداء الدين وذريعة إلى إفشاء الفساد والمنكرات بين المسلمين.
* الضغط في سبيل الحصول على قناة تلفزيونية ومحطة إذاعية للبرامج التربوية، ومعالجة القضايا الإسلامية التي يحتاجها أبناء الشعب اليمني.

*** التخفيف من الآثار السيئة للأزمة:**

كانت للأزمة اليمنية آثار سيئة في جوانب مختلفة سواء ما كان منها متعلقاً بالشعب اليمني ذاته أو ما كان متعلقاً بعلاقة الشعب اليمني ببعض شعوب المنطقة وسنذكر بعض الآثار التي تعقد فيها الآمال على الإسلاميين في إصلاحها أو التخفيف منها بعد توفيق الله عز وجل:

* المساعدة في التخفيف مادياً على من أصيب أثناء الأزمة بإصابات جسدية.
* السعي إلى ضبط أوضاع الدولة إدارياً، وإصلاح الفساد المستشري فيها.

* العمل على تخفيف الآثار التي سببتها الأزمة في نفوس اليمنيين من إحن وأحقاد نتيجة إعلام الأزمة.
* محاربة الآثار السيئة التي نشرها المغرضون بين أبناء الشعب اليمني كالمناطقية والقبلية، والسعي إلى تجاوزها عن طريق غرس الإيمان وإذكاء روح الانتماء للإسلام.
* محاربة الآثار العقدية السيئة والممارسات الخاطئة التي لا يقبلها الإسلام والتي نتجت عن الأزمة، من مثل تمجيد الوحدة وتقديسها حتى أصبحت لدى الكثير غاية في ذاتها، مع أنها على الحقيقة وسيلة إلى تحقق مقاصد شرعية ولذا وقف الإسلاميون معها، أما لو كانت وسيلة لتحقيق مفاسد شرعية كاجتماع أهل الشر والعلمنة وكيدهم للدين والخير، لتغيرت النظرة ولكان العلماء والدعاة من أوائل من يقف ضدها، ومن ذلك تمجيد ما يسمى بالشرعية الدستورية، ولا يخفى على الجميع تنديد علماء اليمن في بداية قيام الوحدة بالدستور الحالي من جهة، كما لا يخفى أن هذا السلاح قد يستخدم لضرب الصحوة نفسها إن لم يكن اليوم فغداً، وعليه فالواجب بيان هذا الجانب للناس وأنه لا يجوز تقديس سوى النص الشرعي الصحيح، أما ما سواه فهو عرضة لأن يكون حقاً أو باطلاً والمسلم يقبل الحق ويرد الباطل، ومن ذلك أيضاً تمجيد الوحدويين بشتى فصائلهم مع أن منهم الاشتراكي والبعثي والناصري...الخ وفي الشرع لا فرق بين من كان من أولئك وحدوياً أو انفصالياً، والواجب الشرعي مناصحة الجميع حتى يعودوا إلى الله عز وجل، صحيح أن المصلحة الشرعية قد تقتضي غض الطرف عن فريق دون فريق، إلا أن الولاء والبراء القلبي تجاه الجميع يجب أن يكون واحداً.

*** الاهتمام بالعلم الشرعي والتربية العميقة:**

لقد شغل الدعاة إلى الله عز وجل في اليمن منذ بداية الوحدة إلى اليوم بأزمات ومحن من قبل أعدائهم ابتداء بمعركة الدستور ومروراً بالانتخابات البرلمانية وتشكيل الحكومة وانتهاء بهذه الأزمة التي استمرت شهوراً طويلة وختمت بهذه الحرب المأساوية، ولذا فإنا نؤكد على دعاة الإسلام في اليمن وعلمائه الأفاضل، ونأمل منهم الاعتناء بنشر العلم الشرعي من مصادره الأصيلة، والمبادرة إلى تعليم الناس العقيدة الصافية الصحيحة التي كان عليها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وصحابته الكرام، وأن يحرصوا على الاهتمام بالجوانب التربوية وإدراك بأن المرحلة في اليمن مرحلة العلم والتربية وأنه لا يجوز إهمالها في خضم المعتركات السياسية، مع أن عليهم بذل كل ما يستطاع من جهد لتعميق الإيمان وترسيخه في نفوس العامة الذين يقدرون العلماء والدعاة، وأن يبادروا إلى إعداد رجال ربانيين يقومون بأمر هذا الدين في صفوف القبائل حتى يتفرد ولاؤها للدين.

وأخيراً:

نهيب بعلماء الأمة وقادتها ودعاتها والخيرين من أبنائها في كل مكان أن يقفوا مع إخوانهم في اليمن في هذه المرحلة العصيبة بكل ما يستطيعون من نصيحة ورأي ودعم، فإن الوقت وقتهم والواجب واجبهم، نسأل الله أن يكتب لليمن من أمره رشداً، وأن يجعله ذخراً للإسلام وعزاً للمسلمين.

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

حول آليات الدعوة والموقف منها

سليمان بن عبد العزيز الربعي

ربما لم تكن الدعوة إلى الله بحاجة إلى تنقية من الشوائب والآفات أكثر منها في واقعها المعاصر، نظراً لمبررات عديدة تشكل تهديداً حقيقياً لحاضرها وقابلها، تلك الدعوة التي يحمل المسلم الواعي همها سبراً وأملاً إشفاقاً وبين الفينة وأختها تُطل على ساحتها معالم أخطار جسيمة هي من قبيل تلك التهديدات، تدعو إلى الوقفة الجادة والرؤية العميقة المصححة حيالها، وان من ذلك ما يُسمى باصطلاح أهلها "المعوقات"، وهي في الأعم الأغلب تندرج تحت قسمين رئيسين:

(١) معوقات داخلية .

(٢) معوقات خارجية .

ويُقصد بالداخلية : ما يكتنف مسيرة العمل الدعوي من عوامل مثبطة ترتبط بآليات محسوبة على الصف العامل منهاجاً أو ممارسة عينية، والخارجية : تأخذ أشكال الزحف المباين، والرصد المريب القاصد إلى شر مضمر، ونحن إذا ما نظرنا نظرة موضوعية، وجدنا المعوقات الداخلية بتوصيفها ا لآنف تربو خطراً على تلك الخارجية المعلومة من أبجديات الدعوة بالضرورة ؛ لأن البصير الناقد يجد صعوبة في التمييز والتصنيف لما يستجد من عوائق داخلية، وحتماً يصاب بالحيرة والتردد دون الجزم بنتائج مبنية على مقدمات افتراضية، وهو كذلك يواجه عند الإقدام واتخاذ الاجراء عينات لا تحصى من سوء الفهم المفرز أسئلة يصعب الاجابة عليها، وهذا هو سر إقدام النبي -صلى الله عليه وسلم- على أعمال حاسمة في مواجهات مباينة عن الصف الإسلامي، في الوقت الذي لم يعمد فيه إلى ذلك عندما يصبح الشأن داخلياً خوف البلبلة داخل التنظيم الجديد، وخشية الاستغلال السيئ من قبل مراجع ومراكز عديدة قد ترى في الإجراء تعدياً على التقعيد والوحدة لا مبرر له البتة، وهو -صلى الله عليه وسلم- يعطي السبب ذاته لعمر رضي الله عنه الذي طالب باتخاذ إجراء حاسم في حق ابن أبي في غزوة بني المصطلق جزاء ما تفوه به من فتنة بقوله عليه الصلاة والسلام : »فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه! « (١).

والقرآن الكريم يحكي للنبي -صلى الله عليه وسلم- نماذج من تحركات مريبة داخل الدولة الناشئة، لا يعلم عليه الصلاة والسلام رموزها ولا مدبريها، من بعض أهل المدينة الذين مردوا على النفاق، في حين لم يكن يخفى عليه كافة رموز طوائف الكفر الصراح في مدى الصراع الناشب حديثاً، وهذا وذاك من المعوقات لكن الأول لطيف خفي، والثاني خارجي صريح جلي.

أريد من وراء هذا كله أن أخلص إلى القول : إن الدعوة الإسلامية تواجه في حاضرها ضغطاً خارجياً متزايداً، غير أنه يسير لجهة فضحه من تحركات داخلية خطرة بكل معنى لهذه الكلمة المقلقة.

وأحاول في هذه العُجالة - إن شاء الله - رصد لون من ألوان هذه المعوقات الداخلية التي إستشرت في الصف المنهجي والآلي بشكل فعال ينبىء عن أن وراء الاكمة ما وراءها، بل وامتدت بهاجسها القلق صوب ميادين دعوية خارجية تنظر إلى صفوف الداخل نظرة استشراف وثقة، تنمذج من مثالها المرصود أساليبها وخططها المستقبلية، إن محصلة ما سطرت يكمن في نشوء مناخات متنامية من الأسئلة العبثية التي لا طائل وراءها، ومن تطور عوالم حوارية توصف بالسلب مذ كانت وسيساً قلما يُسمع على قدر ما هو حادث في هذا الوقت بالذات.

وهذه الظاهرة ينبغي أن تُطرح طرحاً جاداً، وتناقش مناقشة تفصيلية متجردة، ويُبحث فيها عن الأسباب والدوافع والنتائج المنتظرة وراء هذه الظاهرة التي يطَّرد الاهتمام بتحليلها وسط مجتمعات دعوية، تلك التي أصبحت - بعد أن لم تكن - كوابيس مثقلة بالأسى والضجر، تزور منامات المصلحين بتعدد صورها البشعة التي لا تشاكلها إلا رؤوس الشياطين.

لقد نعى القرآن الكريم على المسلمين منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام توجيه أسئلة عبثية إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-، طارحاً نموذجاً لتلك الأسئلة المنهي عنها متكرماً برد نافع ينهج مناهج الحكمة والبلاغة الأصيلة.

إن ما أعنيه يكمن في ذلك الدرس العظيم الذي تعلمنا إياه سورة البقرة في قول المولى عز وجل : ((يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج..)) [البقرة : ١٨٩]، فقد جاء في أحد تفسيري الآية الكريمة أن الناس سألوا النبي -صلى الله عليه وسلم- عن الأهلة والكواكب، لمَ يبدو القمر هلالاً صغيراً، ثم لا يلبث إلا قليلاً وقد أخذ في الزيادة والتوهج والاكتمال، وهو على أي حال سؤال ساذج يدل على سطحية في التفكير، وبدائية في النظر، ومحدودية في التناول التأملي، وبساطة في البحث عن المعرفة الفكرية المهمة المناسبة للمكان والزمان وكان يمكن أن يأتي الرد على ظاهر سؤالهم العبثي، لكن النظر الصحيح يقرر غير ذلك، حيث جاء بأسلوب الحكيم عند البلاغيين، وهو جديد على العرب ينبىء عن شيئين اثنين : صد عن استفسارات لا تفيد، وتوجيه نحو المفيد من المقاصد العليا، إنه قد صرف الإجابة إلى باطن القصد الذي لم يرد في العقول المستفهمة عن سبب تطور الأفلاك لا عن مقصد وحكمة إيجادها.

أورد الإمام محمد بن جرير الطبري - رحمه الله - بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : »سأل الناس رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن الأهلة، فنزلت هذه الآية : ((يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج...)) الآية.. يعلمون بها حل دينهم، وعدة نسائهم، ووقت حجهم« (٢).

ويبدو السؤال أكثر وضوحاً في مراده الدقيق في رواية - وإن كانت بسند ضعيف - أخرجها الإمام السيوطي، إذ »أخرج ابن عساكر عن ابن عباس قوله تعالى : ((يسألونك عن الأهلة)) قال: نزلت في معاذ بن جبل وثعلبة ابن عتمة وهما رجلان من الأنصار قالا: يا رسول الله ما بال الهلال يبدو ويطلع دقيقاً مثل الخيط، ثم يزيد حتى يعظم ويستوي، ثم لايزال ينقص ويرق حتى يعود كما كان لا يكون على حال واحدة؟ فنزلت ((يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس...)) في حل دينهم ولصومهم ولفطرهم وعدة نسائهم والشروط التي إلى أجل« (٣).

إن القوم، إذن »يسألونه عن ا لأهلة.. ما شأنها؟ ما بال القمر يبدو هلالاً ثم يكبر ثم يستدير بدراً؟ وفي الإجابة اتجه إلى واقع حياتهم العملي لا إلى مجرد العلم النظري، وحدثهم عن وظيفة الأهلة في واقعهم وفي حياتهم، ولم يحدثهم عن الدورة الفلكية، وكيف تتم وهي داخلة في مدلول السؤال : ما بال القمر يبدو هلالاً... الخ، كذلك لم يحدثهم عن وظيفة القمر في المجموعة الشمسية، أو في توازن حركة الأهلة والأجرام السماوية، وهي داخلة في مدلول السؤال : لم خلق الله الأهلة؟

فما هو الايحاء الذي يُنشئه هذا الاتجاه من الإجابة؟ لقد كان القرآن بصدد إنشاء تصور خاص، ونظام خاص، ومجتمع خاص.. كان بصدد إنشاء أمة جديدة في الارض، ذات دور خاص في قيادة البشرية، لتنشىء عالماً خاصاً من المجتمعات غير مسبوق، ولتعيش حياة نموذجية، ولتقر قواعد هذه الحياة في الأرض، وتقود إليها الناس، والإجابة العلمية على هذا السؤال ربما كانت تمنح السائلين علماً نظرياً في الفلك إذا استطاعوا استيعاب هذا العلم، وهو محل شك؟ لأن العلم النظري بحاجة إلى مقدمات طويلة، ومن هنا عدل عن الإجابة التي لا تفيد كثيراً في المهمة الأولى التي جاء القرآن من أجلها... « (٤).

إنه لفت نظر إلى المهم، وتجنب طرح حوارات وأسئلة هي أقرب إلى العبث منها إلى الجد، وهو رسالة تربوية للعلماء والمعنيين لاستخدام الأسلوب ذاته، واليوم يمارس بعض المسلمين الدور نفسه، حيث اطردت أسئلة الأهلة بصورها المتعددة الشوهاء، وأصبح هم ا لكثيرين »تصميم« أسئلة من هذا الطراز لتلقى في مجمع يحفل بالأهم، لو أن قومي أولئك يعلمون!

إن الصورة تتكرر »لتشنف« الأذان بنشاز قديم، وتطرح في اهتمام عجيب مئات من الحوارات المتكررة حول الدعوة وواقع الدعاة، خالية من ثمرة تُجتنى أو فائدة تُرتجى.
بل وتقطع المسافات من أقصى الجنوب إلى أواسط الشمال ليتمخض الجبل الأشم عن مواقف استفهامية كمواقف الأعراب في العهد الأول، ثم لا تلبث أن تورث هذا الصخب القلق العقيم الذي ينحدر من صبب في نمط مسف يهتك حجب ا لأحراز والحرمات لا في المناهج والآليات فحسب، بل في الاعيان والشخوص نقداً وتقييماً ومغالطة وتجريحاً لا يرقب في داعية إلا ولا ذمة.
إنه لا يعني الدعوة إلى الله أن تحارب من مراصد خارجية، فتلك سنة المواجهة، لكن الذي يعييها ويقلقها ويعنيها أن ينتدب أناس من داخل الصف أنفسهم لهذه المهمة الدنيئة التي تصب في خدمة العدو المتربص، لقد خسرت هذه الدعوة جهداً كبيراً صرفه أولئك في سبيل نبش قبر فلان وتشويه صورة علان عندما اجتاحت هذه الأسئلة عقولهم وقلوبهم بصورة قوية، فحسبوا أنهم ببثها واشهارها مناضلون مجاهدون، وما هم - في الحق - إلا أدوات غيرية، يحرقون أنفسهم ومراجعهم وما يشعرون.
ولقد كان من نتائج هذا التوجه أن أصيبت الأمة والدعوة على اختلاف مناهجها برجال مقدسين وأعلام معتبرين، جعلوا من محاريب علمهم مجالاً تطرح من خلاله تلك الترهات، وقد أخذت صفة الشرعية والثقة والتزكية عند بعضهم.
إن مما يحفظ على الدعوة إلى الله جلالها، ونبلها، ومصداقيتها وتوحيد هدفها الرشيد، أن يتعامل الأعلام من أئمة الإسلام مع أسئلة الأهلة الجديدة بأسلوب الحكيم ذاته، الذي انتهج في القرآن الكريم، وعولجت به قضايا شائكة من قضايا الدين، إنهم ملزمون بواجب توجيه أمثال أولئك السائلين نحو مقاصد تفيدهم، وتحذيرهم من مغبة هذه العبثية الجديدة، وقد كان هذا دأب المصلحين من أهل العلم، حين شعروا بهذه المسؤولية العظيمة واستكنهوا خطر مثل هذه الممارسات المضلة وسلبيتها الماثلة، أورد أبو إسحاق إبراهيم بن جماعة الكناني - رحمه الله - عن أبى إبراهيم المزني قوله : »فجعل يسمع مني وينظر إليَّ ثم يجيبني عنها بأخصر جواب، فلما اكتفيت قال لي : يا بني ألا أدلك على ما هو خير لك من هذا؟ قلت : نعم، فقال : يا بني هذا علم إن أنت أصبت فيه لم تؤجر، وإن أخطأت فيه كفرت، فهل لك في علم إن أصبت فيه أجرت، وإن أخطأت فيه لم تأثم؟ قلت : وما هو؟ قال : الفقه فلزمته وتعلمت منه الفقه ودرست عليه« (٥).
لقد أصبح من المعتاد تماماً أن يصدر كتاب تشويهي مقرظاً من العَالِم الفلاني، أو أن يكتسح الأسواق شريط بصوت ذلك الحبر الرباني في شأن من شؤون هوامش الحواشي!
إن مما علمناه عقيدة : أن الله - جل وعلا - لم يتعبدنا بالتنقيب عن السرائر فذلك له وحده، وسوء النية منقصة في المسلم الحق، وتلك الأسئلة تتمحور حول هاتين النقيصتين، فمن سؤال يركز على ذلك الأستاذ: ما عقيدته وعلى أي شيء توفاه الله؟ وماذا كان منهجه في الممارسة؟ وفي عام كذا ماذا عمل؟ وفي مكان كيت كيف شوهد؟ نقبوا في تراثه؟ وماذا ترى يا شيخ في القوم المحبين له؟ وفي الفتية المثنين عليه؟ وهلم جراً من هذه الألوان القاتمة في أفق الساحة، أو سؤال يفني الوقت في البحث عن كلمة في الكتاب المقروء تحتمل الوجهين وتقبل الرأيين، ثم لا يلبث المرء إلا وقد اطلع على نموذج من نماذج سوء النية في الدرس والسبر والحوار من جانب واحد، لا لشيء إلا لحاجة في نفس يعقوب لما يقضها! ولعله - باذن الله - لن يقضيها.
إن هذين النموذجين هما ميدان المنافسة هذه الأيام بين فئام من مدعي العلم والمعرفة، وان الفطن الكيس يدرك كذلك أن القوم بين رجلين، رجل جاهل مغيب، وآخر اكتنفته دواعي الحالقة التي تحلق الدين لا الرأس كما في حديث المعصوم -صلى الله عليه وسلم.

نعم، فإن من القوم أولئك من هو حاسد حانق، يكشفه منطقه ويعريه لحن القول، ونحن بحيال ذينك الرجلين، نقدم للأول علاجاً من المعرفة والعلم والتوضيح، ودعوة إلى تفهم الواقع وقراءة الحقيقة من منطلق التجرد لله وطلب الحق أياً كان وممن كان، أما الثاني فإن الإمام الجهبذ شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله- يسدي إليه نصحاً بالتوبة والإنابة، ذلك لأن الواجب في حق كل »من وجد في نفسه حسداً.. أن يستعمل التقوى والصبر، فيكره ذلك في نفسه« (٦)، ويكره العبث بالعقول!

إن هدف المتربصين بالدعوة لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال إيجاد جر من الصدام العنيف بين السادة العلماء والدعاة، الذي يمكن أن تسببه تلك الأسئلة والحوارات العبثية القائمة اليوم، والمتجهة نحو إيجاد مثل ذلك الهدف، لقد أدرك أولئك المتربصون أن المزلق الخطر المسبب لذلك يتمثل في تلك المناخات من التشكيك والاتهام المبطن والعمل المضاد، وإيعاز مخيف بالإسقاط والتسلق على حساب غيرهم.. وتفويت الفرصة إنما يتم بمضادات حيوية تقابل أسئلة الأهلة في قالبها العبثي الجديد، وربط السائلين بأصول الدين، وصرف جهودهم السلبية نحو (أهداف) و(مضامين) و(وسائل) تعينهم على فهم الدين ومن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، لا في أسئلة العابثين.

وإن الأمانة الكبرى لا تقتضي من أولئك الأعلام أن يفنوا الأوقات الطويلة في الإجابة على مثل هذه الأسئلة، أو طرح مناقشات تقابل بالرضا المعضد، بل إن رباط العلم يجب أن يكون في سموق عال على الجراحات وإلهتافات الشخصية الجانبية، لتصل إلى سماوات النبل الشريف في البذل والخير والعطاء الزاهر.

إن ما يدفع بتلك الأسئلة نحو الشيوع والشهرة الواسعة، ما يحسه بعضهم بالوصاية على الدعوة النقية من كل شائبة، والحق أن تلك الدعوة المبتغاة، أو السنة المطهرة، أو السلفية المتبعة ليست حكراً على أحد، بل ولا يمكن السماح بمجرد خاطرة هذه الفكرة أن تسبح في فضاءات أحد، لأنها - ببساطة - منهج مرفوض، نفاه المولى سبحانه عن الدين وحذر منه رسوله الأمين -صلى الله عليه وسلم-.

إن تلك الأحاديث التي وردت في الفرقة الناجية والطائفة المنصورة ليست متكأ مناسباً لأولئك، فهي فرقة لا تعرف بالأشخاص والأعيان، بل هى دعوة ذات منهاج مطروح للعرض، وحين عرفت السنة بأحمد - رحمه الله - فإن ذلك بسبب تقاعس أهلها - آنذاك - عن القيام بحق الوحدة الإتباعية لمبدأ العقيدة في إن القرآن الكريم منزل غير مخلوق، وأن تدارس المتمسك به في الإعلان، وتأول بقية من يعول عليهم، حينها عرف أحمد بها وعرفت به وأصبح من الغالب أن يقال : (إن رأيت الرجل يحب أحمد بن حنبل فاعلم أنه صاحب سنة، وإن رأيته يكرهه فاعلم أنه صاحب بدعة).

وحين عرف المجدد الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه ا لله - بالسنة فلأنه قد جاء على فترة من الاتباع وطفرة من الابتداع، ولسنا في حل اليوم أن نطبق ذلك في حاضرنا على الأعيان، فالأمة آيبة إلى ربها، والسنة متبعة على مستوى طيب - بحمد الله -، فلم هذه الوصاية على السلفية والسنة والإتباع من قبل أولئك السائلين ومراجعهم؟ إن هذه الأمة التي كانت خانعة مستذلة قد شبت عن الطوق، ولم تعد تتذكر الماضي الأسيف إلا وهي تسكب دموع التوبة والألم، وحين بلغت هذا الوعي الراشد فانها سترفع يد الوصاية التي يحاول إطباقها من يدعون حق تملك حقوق السنة والسلفية تمهيداً للتصدير واعتماد فروع خاصة في بلاد الإسلام.

إن الراعي في رأس شظية يؤذن فيقيم للصلاة لحقيق بتملك هذه الدعوى التي بنقلها أصحاب الأسئلة لأنفسهم (٧)، أولئك الراجمون بجهالة المجتمع مقروناً بشعور العلوية المشوبة بحذر لا يتصور، وهم إن سمعوا بعزم ذلك الراعي النجيب، أجفلوا بخيلهم وأسئلتهم حوله وحول مرعاه ورعيته طمعاً في الإلغاء والتصفية والحسم، غير أن الحق كله لذلك الراعي في القول والفعل، والفصل حينئذ بين الفريقين مرجعه إلى فضيلة القاضي .

وفي حين تكمن بينة الداعي »المدعي إقامة السنة وحقها« بصلاة الشظية فإني أحسب أن يمين المنكرين سؤال عبثي جديد.
وعند الله تجتمع الخصوم، وهو وحده المستعان على ما يصفون.

هوامش :

(١) السيرة النبوية لابن هشام، ٣/ ٣٠٣، ت : مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، دار احياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر محمد ابن جرير الطبري، ٢/ ١٩٢، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٥٨ هـ.
(٣) الدر المنثور في التفسير المأثور، جلال الدين السيوطي، ١ / ٤٩٠، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان.
- وانظر : فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني ١ / ١٩٢، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ.
(٤) في ظلال القرآن، سيد قطب، ١ / ١٧٩ وما بعدها، دار الشروق، الطبعة الرابعة عشرة ١٤٠٨ هـ «بتصرف يسير».
(٥) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، أبو إسحاق إبراهيم بن جماعة الكناني، ص ١١٦، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
(٦) مجموع الفتاوى، ١٠/ ١٢٥.
(٧) روى أبو داود والنسائي بسند صحيح عن عقبة بن عامر - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول : «يعجب ربك من راعي غنم في رأس شظية جبل، يؤذن بالصلاة، ويصلي، فيقول الله عز وجل : انظروا الى عبدي هذا يؤذن ويقيم الصلاة، يخاف مني، قد غفرت لعبدي، وأدخلته الجنة» والشظية: القطعة تنقطع من الجبل ولم تنفصل عنه.
- انظر : صحيح الترغيب والترهيب للحافظ المنذري، رقمه (٢٤١) ١/ ١٠٢، تحقيق واختيار : محمد ناصر الدين الألباني، الكتب الإعلامي، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ.

@في دائرة الضوء

أقنعة العلمانية

قراءة في الطروحات العلمانية الجديدة

د. محمد يحيى

يلاحظ المتتبع للطروحات العلمانية الفكرية في البلدان العربية خلال الفترة القريبة، توجهين أساسيين يحكمان هذه الأفكار، أولهما حديث نسبياً من حيث التعبير العلني عنه مؤخراً، وهو يبشر صراحة بالفكر العلماني »الكلاسيكي« في صورته الشرسة من ضرورة الفصل بين الدين (وهو هنا الإسلام) والدولة، أو بين الدين والسياسة، أو بين الدين والحكم، أو بين الدين والاقتصاد والتعليم وسائر شؤون المجتمع، أما الاتجاه الثاني فهو يواصل ما عهد عن أصحاب هذا الفكر في العقود الماضية من طرح العلمانية وراء أقنعة ومسميات شتى لا تلجأ إلى المصادمة المباشرة أو الوضوح الصريح أو الإفصاح عن النوايا والأهداف النهائية، وظهور الاتجاه الأول الذي يمكن أن نسميه بالأتاتوركي نسبة إلى رائد العلمانية في العالم الإسلامي في شكلها السياسي الشامل يرتبط

بتصاعد الحرب من جانب القوى المحلية والأجنبية ضد الحركات الإسلامية، حيث فقدت هذه القوى توازنها أو صبرها في الفترات الأخيرة، وقررت أن تكون الحرب علنية ليس فقط ضد التيارات الإسلامية ولكن ضد الإسلام ذاته، من خلال وجوده الدستوري والقانوني في أنظمة الدول العربية، وأيضاً من خلال وجوده المؤسسي في هيئات تعليمية أو ثقافية أو اجتماعية، ولذا جاءت الدعوة إلى العلمانية الأتاتوركية صريحة إلى حد أننا سمعنا مثلاً موظفاً رسمياً في وزارة الثقافة بإحدى الدول العربية يتحدث باسم وزارته وهو ما يعني الحديث باسم الحكومة داعياً إلى فصل الدين عن الدولة في دستور البلاد، وتتردد آراء مشابهة من جانب كتاب من المشرق والمغرب العربي في صحف ومجلات تصدر هنا وهناك، وتديرها وتدعمها الأنظمة والحكومات، وتتراوح أهداف هذا التوجه الجديد المعلن ما بين بالونات اختبار (وفق المصطلح الصحفي الدارج) لآراء الصفوة والجماهير نحو الدعوة العلمانية الصريحة، وما بين التهديد للإسلاميين والمؤسسات الإسلامية بأنهم إذا لم يتوقفوا عن النشاطات الإيجابية في مجال الدعوة والحركة فإن الأنظمة الحاكمة قد تضطر في نهاية المطاف إلى اللجوء إلى »الحل الأتاتوركي« أي إلى تبني العلمانية التقليدية بالنص في الدساتير والقوانين على تنحية الإسلام وعزله عن شؤون الدولة والحكم والمجتمع بكل مؤسساته، والوصول إلى الإقصاء الشامل لهذا الدين عن كل شؤون الحياة.

خطورة التوجه العلماني الجديد:

لكن هذا التوجه الأخير للطرح العلماني على خطورته المتمثلة في المصادمة الصريحة للإسلام، يبقى محدوداً من الناحية الكمية بالمقارنة مع التوجه العلماني الأخير الذي يحتل المساحة الكبرى في الكتابات الفكرية والإعلامية العلمانية، وأعني به تسريب هذا الفكر بشتى جوانبه وراء مجموعة من الأقنعة وأدوات التنكر والستائر التي تخفي حقيقة جوهره أو مقاصده وأغراضه البعيدة أو الجهات التي تحركه وتستفيد منه، وفيها جهات دينية غير إسلامية تتمسك بأديانها أشد التمسك، وتتعصب لها إلى الحد الممقوت، لكنها تريد للمسلمين أن يتحللوا من دينهم، وأن تنفصم عرى هذا الدين، ويبعد عن حياة الشعوب وتوجيه مصائرها، وإذا كان الفكر العلماني الكلاسيكي محدود الطرح في الناحية الكمية حتى الآن، فإن الفكر المقنع منذ فترة طويلة ومازال أكثر انتشاراً لأنه لا يسعى إلى الصدام المباشر الواضح مع العقيدة، بل يواصل عدوانه عليها، ويهاجمها بطريق غير مباشرة، فيقوض الطرح الإسلامي بطريق الإجهاض والإضعاف المستمر، دون أن يجازف بإثارة مشاعر الجماهير المسلمة أو تحفيز طاقات رد الفعل الفكري الإسلامي، أو تنبيه المسلمين لما يراد بهم، بل ويكسب فوق ذلك التظاهر بأنه تيار فكري محايد أو حتى »إسلامي مستنير«!!

صور جديدة للخداع:

وأقنعة العلمانية كما عهدناها متعددة وكثيرة ومتغيرة وفق الظروف والمناسبات، وتتيح هذه الأقنعة مزايا أخرى لأصحاب الفكر العلماني غير ما لاحظناه فيما سبق، فهي قبل كل شيء تمكنهم من الرد على دحض الإسلاميين لأفكارهم بمقولة أن الإسلاميين لا يفهمون العلمانية، أو يتعمدون الحط من شأنها بربطها بالفكر في الإسلام، بينما هي »في الحقيقة« (أي في القناع والفكر) لا تعني سوى التفكير الحر، أو الاجتهاد الذهني، أو الاستنارة العقلية، أو الموضوعية العلمية، أو الإصلاح الاجتماعي والديني!!... الخ.

ولقد شاهدنا في الفترة الأخيرة إحدى المجلات الشيوعية ترد على سلسلة مقالات لكاتب ومفكر إسلامي موضوعي فند فيها أفكار العلمانيين، باتهام الكاتب أنه »يزيف العلمانية« أي يتهم العلمانية، وينسب إليها ما ليس فيها على حد زعم المجلة وهذه هي فائدة أسلوب الأقنعة والتنكر، لأنه يمكن العلمانيين عند الرد الموضوعي والداحض والمفند لأفكارهم أن يتنصلوا منها بزعم أنهم إنما ليسوا

سوى دعاة العقل والفكر والحرية والاستنارة والتقدم وما أشبه ذلك من المصطلحات والألفـــاظ العامة التي يطلقونها دونما تحديد اجتلاباً للأذهان، لكنهم يحددونها في الوقت الملائم وبالمعنى والمضمون الذي يختارونه ويكون أكثر المضامين فعالية وأثراً في وضع ومقام معين.

مزاعم علماني متفلسف:

وفي هذا الصدد مثلاً ونحن نشير إلى أقنعة العلمانية واستخدامها التقنع والتنكر لأغراض مرحلية تتعلق بالرغبة في الانتشار والترويج واستمالة الأذهان وتجنب المواجهة المباشرة، أشير إلى واحد من أحدث هذه الأقنعة وربما كان من أطرفها، فقد عرف أستاذ جامعي مصري للفلسفة وهو غير مسلم اشتهر بهجومه على الإسلاميين منذ عقد الستينات العلمانية بقوله: إنها تعني التفكير في الأمور البشرية النسبية والمتغيرة بطبيعتها من خلال فكر نسبي ومتغير، والابتعاد عن »المطلق« عند التفكير في هذه الأمور البشرية وتدبيرها وإدارتها، وهذا التعريف المبتكر للعلمانية يبدو مختلفاً تماماً وبعيداً كل البعد عن تعريفها التقليدي بأنها فصل الدين عن الحكم والدولة والمجتمع، لكنه بعد تحليله يصل إلى نفس الهدف وراء سحابة المصطلحات الفلسفية عن المطلق والمتغير والنسبي.

فصاحب هذا التعريف يصف العلمانية بأنها التفكير في الشؤون البشرية ذات الطابع النسبي والمتغير بأساليب وأفكار مماثلة لها من حيث النسبية والتغير لكنه من المعروف أن المذاهب العلمانية المتنوعة وبالذات في المجالات »المتغيرة والنسبية« كالسياسة والاقتصاد وقضايا المجتمع، اتسمت بأشد درجات الإطلاق والجمود والصلابة وعدم التغير بحيث كانت تضع نفسها في شكل دساتير وقوانين صارمة ثابتة تهيمن على حركة المجتمعات التي طبقت فيها وتعيد صياغتها بشكل كلي وشامل بحيث تتسق هذه المجتمعات مع تلك الأفكار النظرية المجردة، ولو كلف الأمر ملايين الضحايا البشرية ومحن واضطرابات تستمر عشرات السنين.

وليست التجربة الشيوعية فيما كان يعرف بالكتلة الشرقية الأوروبية عنا ببعيد، فالمذاهب العلمانية نفسها، وهي من وضع البشر لم تكن ترى في نفسها أنها أفكار متغيرة ونسبية جاءت لتحكم شؤون بشرية متغيرة ونسبية، بل على العكس فقد انتحلت لنفسها بالضبط ما تدعي العلمانية أن الأديان قد اتصفت به ألا وهو الطابع المطلق الشمولي الجامد المستعصي على التغير، وينطبق هذا حتى على تلك المذاهب العلمانية التي ادعت »الليبرالية« أو التحرر، إذ لم تخلوا هذه المذاهب من مطلقات مقدسة طرحت على أنها ثابتة ثبوت الدهـــور، وغير متغيرة مع تغير الظروف، بل وعلى أنها هي التي تحكم وتضبط وتوجه التغيرات وتهيمن عليها لا تواكبها ولا تسايرها ولا تتغير معها، وهذه المقدسات معروفة حتى الآن في الحرية الاقتصادية ونظام التمثيل البرلماني، وأفكار المساواة المطلقة والفردية، وأشهر مطلق من مطلقات الليبرالية بل ومن مطلقات الفكر العلماني نفسه هو مطلق فصل الدين عن الدولة.

وللماركسية والاشتراكية مطلقاتها الخاصة كما لسائر المذاهب والفلسفات العلمانية، بل إنهم يتبادلون الهجوم فيما بينهم بالإشارة إلى الطابع المطلق لكل منهم الذي يستعصي على التغيير والنسبية، ويقاومهما ويصـــر لنفسه على احتكار الحق المطلق حتى في أدق الأمور الاجتماعية والاقتصادية وأكثرها عرضة لمجريات التغير والتبدل.

العلمانية والمطلق والنسبي:

العلمانية إذن لم تكن أبداً إدارة أو تفكيرفي شؤون البشر المتغيرة والنسبية بأفكار وأساليب تشاكلها، بل على العكس كانت تتمثل في استبدال مطلق جديد (هو العلمانية) لمطلق قديم هو (المسيحية الغربية)، وما رافقها من أفكار ومذاهب سياسية واقتصادية وثقافية، ثم إن المذاهب العلمانية لم تنظر لنفسها على أنهـــا مجرد تعبيرات ملائمة عن أوضاع نسبية ومتغيرة، تتغير وتتبدل وتمضي مع

ذهاب هذه الأوضاع، بل على العكس اعتبرت نفسها مبادئ وخطوط عمل وإرشاد وتوجيه حاكمة وعامة، توجه وتقود وتشكل هذه الأوضاع، بل وتحكم كيفية ومسار تغييرها إلى أبد الآبديـــن، أو إلى الوصول إلى الفردوس الأرضي ونهاية التاريخ كما في الماركسية والليبرالية.

العلمانية إذن تحل لنفسها ما تحرمه على غيرها، وإذا نظرنا إلى الجانب الآخر من المسألة فلن نجد داعياً لوصف شؤون البشر بأنها نسبية ومتغيرة مهما كانت درجة التغير والتبدل التي تطرأ على أحوال الأفراد والمجتمعات والأمم فوراء هذه التغيرات تقف (كما تقول لنا حتى فلسفات العلمانية ذاتها) قوانين كبرى ومبادئ عامة، وملامح مشتركة، تجعل من وجود أفكار وتعاليم مطلقة للتفكير في هذه الشؤون، أمراً مقبولاً، بل وضرورياً، ولا ننسى أن »ماركس« وهو أحد كبار كهنة الفكر العلماني الغربي قد ابتكر نظاماً مطلقاً محكماً ادعى أنه يقف بثبات وصرامة لا تتخلف وراء كل التغيرات التي تطرأ على المجتمعات فالمطلق أياً كان له مجال في التفكير في الشؤون البشرية والمطلق كذلك له مجال أكبر في مجال توجيه هذه الشؤون كما تدل على ذلك التجربة العلمانية ذاتها في النظرية والممارسة، ذلك لأنه إذا قبلنا بفكرة أن كل الشؤون البشرية متغيرة ونسبية، فإن ذلك لا يعني منطقياً أن تكون المبادئ التي توجه وتحكم هذه الشؤون متغيرة ونسبية مثلها، لأن الحكم والتوجيه والتدبير في حد ذاته يعني وجود درجة كبيرة من الثبات والهيمنة، تتجاوز النسبية والتغير وتتعالى عليهما أو تقود التغيرات في مسار معين، وتبعدها عن مسار آخر.

والأكثر أهمية في ذلك هو بحث معنى »المطلق« وفق هذا التعريف المبتكر للعلمانية، فهل المقصود هنا هو »الإله« الذي تتحدث عنه الأديان التي يواجهها العلمانيون رغم ضرورة الإشارة إلى اختلاف مفاهيم الألوهية بين الأديان وبالأخص بين الإسلام وبين سائر الأديان بما فيها تلك التي تسمى حالياً بالسماوية أم أن »المطلق« هذا هو الأفكار والمذاهب الدينية لاسيما ما يتصل منها بالتشريع والشؤون الاجتماعية المتنوعة، وفي هذه الحالـــة ينبغي الإشارة إلى وجود شريعة في الإسلام تختلف جوهرياً وبالنوع عن أي أفكار أخرى بدائية ومحدودة قد تحتويها الأديان الأخرى في مجال التشريع الاجتماعي، فالشريعة الإسلامية هي نظام كامل له منهاجه الخاص، ولا يمكن أن تختزل هذه الشريعة بوصفها بتلك الكلمة العامة الغامضة ذات الإيحاءات السلبية في دنيا الفلسفة وهي عبارة »المطلق«، فالشريعة الإسلامية بالذات تحتوي على مستويات من المبادئ والقوانين والأحكام، وفيها من المرونة ومن القابليـــة للاستيعاب وتغطية المتغيرات، والتعامل معها من خلال أنظمتها هي كالاجتهاد وغيره مـــا يحول دون نشوء مشكلة التقابل الثنائي بين المطلق والنسبي التي يثيرها ذلك التعريف العلماني، وهو يحمل في ذهنه الأوضاع المسيحية الغربية.

وإياً كان ذلك »المطلق« فلا يعطينا تعريف العلمانية هذا مسوغاً لإبعاده عن شؤون البشر، سواء أكان تفكيراً فيها أو توجيهاً لها، مادام أن العلمانية نفسها تقيم بعده مطلقاً أو مطلقات أخرى من صناعتها هي، أي أصنـــام وثنية مادية لتحل محل الآلهة الغيبية (حسب تصورهم)، فلا جديد في المسألة.

تهافت العلمانية الجديدة:

تعريف العلمانية الجديد هنا ينشيء عند تحليله تناقضات ومشكلات عديدة، كما أنه ينبثق عن نفس التعريف القديم، لكنه ليس سوى قناع أو تنكر له، فهو يطلق اسم المطلق على: الدين أو الشريعة أو العقيدة أو »الله«، وهو ذو إيحاءات سلبية كما قلنا ولاسيما في مذاهب الفلسفة الغربية الحديثة وفي مقابلة هذا المطلق توضح شؤون البشر المتغيرة النسبية (هكذا كل شؤون البشر متغيرة ونسبية عندهم بإطلاق!)، ثم تأتي العلمانية لتسمى في هذا التعريف بالأفكار النسبية المتغيرة والتي تصلح بذلك دون »المطلق« لتسيير وتفسير حياة البشر وشؤونهم.

إنها مجرد تسميات مختلفة، فبدل القول بأن الدين يجب أن يرفض وينحى من حياة البشر لتحل محله العلمانية، أو بالأصح مذاهبها المختلفة يأتي القول بأن حياة البشر متغيرة نسبية بإطلاق (!) في التغير والنسبية، وأن هناك اتجاهين يتنازعان تفسير وتسيير هذه الحياة، أحدهما »مطلق« لا يصلح لها والآخر مثلها متغير نسبي، فهو الأصلح والأجدر بها، هكذا تترجم العلمانية الكلاسيكية إلى صياغة تحاول أن تتجمل بمصطلحات الفلسفة ذات الإيحاءات والظلال المعينة دون أن يتغير شيء في المضمون.

لكن هذا التعريف الجديد أو القناع الجديد يحتوي من التناقضات أشد ما يحتويه التعريف الأقدم، لاسيما فيما يتصل بالإسلام، فشريعة الإسلام ليست ذلك »المطلق« البعيد عن دنيا البشر وهمومهم وأوضاعهم بل هي وثيقة الصلة بها لا من حيث إنها تعكسها وتبررها وتواكبها بشكل ذيلي في تغيراتها كما يصور التفسير المادي المألوف، بل من حيث إنها تقودها وتوجهها وترقى بها وفق مشيئة وحكمة العزيز العليم الذي أوحى بها، وشؤون البشر في هذا التصور الإسلامي ليست متغيرة نسبية بإطلاق، بل تطرأ عليها التغيرات وفق سنن ثابتة، كما تتفاوت التغيرات بين مادي واجتماعي ونفسي وعقدي وأخلاقي... كل له مساره الخاص ودرجته الخاصة في مدى التغير، والتغير فيها يمكن توجيهه والتحكم فيه على الأقل من الناحية المهمة كناحية الإيمان وإرضاء الله بالعمل وفق منهجه، والثبات في محن البلاء والاختبار المتنوعة.

وأخيراً فإن الأفكار العلمانية ليست نسبية التطور كما يزعم التعريف، بل هي تزعم لنفسها كما أسلفنا الإطلاق والثبات، أضف إلى ذلك السذاجة الفكرية المتضمنة في مقولة أن النسبي والمتغير لا يصلح للتفكير فيه سوى النسبي والمتغير فصاحب هذا التعريف وهو ماركسي النزعة يعرف أكثر من غيره أو هذا هو المفترض أن الماركسية وقبلها بدرجة أكثر الهيجلية قد حكّمت فكراً (أو ما أسموه بمنهج علمي) مطلقاً هو الجدل أو الديالكتيك بشقيه المنطقي والمادي في تفسير ما رأوا أنه شؤون الحياة والتاريخ المتغيرة والنسبية، فالمتغير في هذه الفلسفات محكوم بقانون مطلق لا يجعل منه تغيراً بقدر ما يجعل منه ثباتاً يتجلى شيئاً فشيئاً إلى أن يظهر بكامله، كما أن النسبي عندهم لا يصبح نسبياً إلا عندما ينسب إلى إطار مطلق يحتويه ويتعالى عليه.

خدعة المجتمع المدني:

في نهاية الأمر لسنا نواجه سوى قناع آخر من أقنعة العلمانية هذه المرة في ثوب فلسفي النقش، لكن الأقنعة لها ثياب متعددة، فهناك مثلاً الثوب السياسي الذي يفصح عن نفسه هذه الأيام في مصطلح كثر ترديده بصورة ببغاوية حتى عد عند بعضهم وكأنه الحل السحري لكل الأزمات والمشاكل وفي مقدمتها أزمة الإسلام، وأعني به مصطلح »المجتمع المدني«، فالدعوة إلى العلمانية هذه الأيام تتخذ شكل الإلحاح على إقامة أو تقوية ما يسمى »بالمجتمع المدني«، وليس المقصود بهذا المجتمع كما قد يتبادر إلى الذهن أنه المجتمع الذي لا يسيطر عليه العسكريون بشكل مباشر أو غير مباشر كما هي الحال في معظم المجتمعات العربية، بل على العكس نجد أن أصحاب هذا المصطلح أو التعريف العلماني من أشد أنصار الحكم العسكري، لأنهم يرون في شراسة هذا الحكم وبعده عن الالتزام بالقوانين وحقوق الإنسان، أكبر ضمانة للتصفية الجسدية للحركات الإسلامية التي يناصبونها العداء والخصومة.

المجتمع المدني المقصود في هذا المصطلح الذي نجد له أوسع رواج الآن في بعض الصحف والمجلات والمنابر الناطقة باسم النخبة العلمانية، هو المجتمع اللاديني، ذلك لأن »المدني« عندهم لا يواجه »العسكري« بل يواجه »الديني« وقد اعتمد مطلقو هذا التعبير على ترجمة محرفة للاصطلاح الدنيوي أو غير الكنسي في بعض اللغات الأوروبية، الذي يقابل ويواجه »الكنسي« أو

الديني فالدين عندهم يرتبط بما هو متصل بالكنيسة ورجالها (الكهنوت) الذين يشكلون بزيهم وتنظيمهم المستقل المميز سلكاً هو سلك الدين أو الكنيسة المتميز عن سائر المؤسسات الاجتماعية، كسلك الجيش أو ملاك الأراضي... الخ، وعند غيرهم يطلق عليه اسم »الدنيوي« (أي غير الديني) الذي تحور في الترجمة أو في التلاعب عند أصحاب التعريف أو الدعوة الجديدة إلى »المدني«.
والخلط هنا ينشأ من أن كلمة »المدني« في استخدامات العربية الحديثة تطلق أساساً للتفرقة بين ما ينتمي إلى السلطة العسكرية وما ينتمي إلى غيره كما قد يطلق على ما ينتمي إلى المدنية أو الحضر، أو ما يتسم بالصفات السائدة في تلك الأماكن، لكن »المدني« لا يعني في العربية »العلماني«، ومن هنا يأتي القناع أو التنكر، فهم يستخدمون تعبير المجتمع المدني لأنه سيجد القبول بإيحاءاته التي تعني مجتمعاً لا يسيطر عليه العسكريون بالدكتاتورية والتسلط وكبت الحريات وفرض الرأي الواحد الخاطئ في معظم الأحيان، كما أن أصحاب المصطلح يساعدون على هذا الترويج بإكسابه إيحاءات أخرى ينظمونها حول لفظة »المدني« كالديموقراطية والحرية وتعدد الآراء والمناقشات والانفتاح السياسي والفكري، لكنهم عندما يتحدثون عن هذا المصطلح فإنما يقصدون كما يتضح من كتاباتهم العلمانية أو اللادينية المجتمع الذي يفصل الدين عن حياته وينحيه بعيداً، وهكذا يظهر المصطلح جذاباً لبعضهم لكنه في نفس الوقت يؤدي نفس ما يؤديه التعريف الكلاسيكي للعلمانية.
وكما هو الحال في التحليل السابق للتعريف الجديد للعلمانية، فإننا إذا حللنا تعبير »المجتمع المدني« كما يستخدمه العلمانيون، فسنجده ينطوي على تناقضات تهوي به كمصطلح جاء حسب استخدامهم أبسطها أن مفهوم »المجتمع المدني« كما يستخدم في الكتابات الاجتماعية الغربية يعني مجموع المؤسسات والهيئات والمنظمات والجمعيات والروابط المعروفة (الجيش، الشرطة الجهاز الإداري... الخ)، ومن هذه الناحية فإن المصطلح بمعناه الدقيق أو العلمي في الكتابات الأكاديمية يضم ولا يستبعد المؤسسات الدينية، كما يضم ولا يستبعد الأفكار والرؤى الدينية طالما أنها تشكل قسماً من نسيج هذا الشعب الذي يتشكل المجتمع المدني من تنظيماته.
وللعلمانية أقنعة أخرى تخفي وراءها طرحها الأساس والصريح الذي ما خرج هذه الأيام إلى طور العلن إلا كحلقة من حلقات المواجهة مع الإسلام كما يسمونها، والأقنعة ذات فوائد متعددة للطروحات العلمانية لكنها في المقابل ينبغي أن تكون بمثابة ساحة تدريب ودافع تنشيط للفكر الإسلامي في تتبعها ودراستها ودحضها وكشف ما وراءها، مع إظهار البديل أو بالأصح »الأصيل« الإسلامي الذي تحاول هذه الطروحات أن تشوه صورته أو تخفيه.

من ثمار المنتدى

أنشطة المنتدى الإسلامي

سبق الحديث في الأعداد السابقة عن بعض مشاريع »المنتدى الإسلامي« مثل: »كفالة الدعاة، وبرنامج شهر رمضان الماضي، ومشروع مكافحة العمى بدولة تشاد، والدورات والملتقيات العلمية للمنتدى، وحلقات تحفيظ القرآن الكريم«، ومشروع مكتبة إسلامية، ومكتبة طالب علم، وفي هذا العدد نواصل الحديث عن مزيد من المشاريع كما يلي:

البيان

ثامناً معاهد إعداد الدعاة:

تمهيد:

العلم الشرعي من القضايا الأساسيـــة التي يقوم عليها العمل الدعوي ولهذا كان العلم هو مقدمة كل عمل ومع الأسف الشديد فإن الجهل بأصول الإسلام وقواعده العامة، فضلاً عن غيرها من السمات السائدة في أوساط المسلمين، ليس عند عامة المسلمين فحسب بل حتى عند خاصتهم من أئمة المساجد والدعاة والمدرسين..

ومن ذلك نبعت فكرة إنشاء معاهد لإعداد الدعاة في عدد من الدول الإسلامية، لنشر الوعي الشرعي بين المسلمين، وإعداد مجموعة منتخبة من الدعاة للقيام بالأعباء العلمية والدعوية.

ولا شك أن إعداد الرجال القادرين على تحمل المسؤولية وأعبائها عملية شاقة جداً، وتتطلب جهوداً كبيرة، ولكنها في غاية الأهمية، وهي ضرورة ملحة ينبغي الاعتناء بها.

ب -أهداف المشروع:

١- إعداد كفاءات دعوية مؤهلة قادرة على تحمل المسؤولية.

٢- نشر العلم الشرعي في أوساط المسلمين.

٣- إعداد طاقات سلفية واعية، ترفع راية أهل السنة والجماعة.

ج-إعداد المنهج التعليمي:

المنهج التعليمي هو إحدى الركائز الأساسية لإنجاح المشروع، وقد قامت لجنة من الأساتذة الأكْفَاء بوضع خطة تعليمية يعتمد تدريسها في المعاهد، مع الاستفادة من مناهج الجامعات الإسلامية.

د- خطة الدراسة في المعاهد:

يتم اختيار الطلاب الذين أنهوا المرحلة الثانوية بتفوق من المدارس الإسلامية، وسوف تكون الدراسة في المعهد لمدة سنتين اثنتين فقط تدرس فيهما المواد التالية:

(التفسير - الفقه - الحديث - أصول الدعوة - اللغة العربية - العقيدة - التلاوة - أصول الفقه - مصطلح الحديث - التاريخ والسيرة - الفرق والأديان) .

في السنة الأولى يتم افتتاح ثلاثة فصول دراسية فقط، ويكون عدد الطلاب المقبولين ثلاثين طالباً في كل فصل، وفي السنة الثانية يتم افتتاح ثلاثة فصول دراسية أخرى بحيث لا يزيد مجموع الطلاب في المعهد عن ٢٠٠ طالب.

هـ - المدرسون:

سوف يتم اختيار أربعة من المدرسين الأكْفَاء للقيام بأعباء هذه المسؤولية الكبيرة في السنة الأولى، ويكلف أحدهم بالقيام بإدارة المعهد بالإضافة إلى جهوده في التدريس، وفي السنة الثانية يزاد ثلاثة مدرسين آخرين ليكون المجموع الكلي للمدرسين سبعة مدرسين.

تكلفة إنشاء معهد لإعداد الدعاة: ١٣٣ر٠٠٠ دولار

متوسط تكلفة تشغيل المعهد للسنة الأولى: ٣٢ر٠٠٠ دولار

وهذا يشمل الرواتب والكتب والمصروفات الإدارية.

تاسعاً القوافل الدعويـة:

المناطق الإسلامية مناطق كبيرة مترامية الأطراف وعرة المسالك والدروب، وقد انتشر الإسلام بحمد الله تعالى في مختلف الأدغال والقرى النائية، ولكن الجهل غلب على المسلمين في المدن الرئيسة فضلاً عن القرى والهجر النائية، مما جعل البدع والشركيات والكهانة تنتشر في أوساط المسلمين انتشاراً واسعاً، بل انتشرت بعض الطقوس والعادات الوثنية، حتى بلغ الحال في بعض المناطق أن الأجيال الجديدة من أبناء المسلمين تركوا دينهم وتحولوا إلى عبادة الأوثان، ولكن بقيت

عندهم بعض الرسوم والعادات الإسلامية التي توارثوها عن آبائهم، مثل التوجه جهة مكة خمس مرات في اليوم والليلة، وهم يفعلون ذلك ولا يدرون لماذا يفعلونه!
ومثل هؤلاء هم البيئة الخصبة غالباً للنشاط الكنسي، حيث أقيمت المراكز التنصيرية في القرى النائية، واستقر المنصرون بين المسلمين حتى أصبح من المعتاد أن ترى القسيس المنصر يسكن بين الأدغال والأحراش منذ سنوات طوال.
ولصعوبة الانتقال بين المدن والقرى، ولوعورة الطرق وخطورتها في بعض الأحيان، كلف المنتدى الإسلامي دعاته بإعداد القوافل الدعوية التي تنطلق إلى مختلف المواقع التي ينتشر فيها المسلمون وغيرهم من الوثنيين والنصارى، وذلك حرصاً على الوصول إلى الأماكن البعيدة والوعرة.
وتتكون القافلة في الغالب من: داعية يجيد لغة القوم، داعية محلي ليكون دليلاً ومعيناً، طبيب عام لمعالجة المرضى، مشرف زراعي أحياناً، سائق.
وتحمل القافلة أدوية لعلاج المرضى، وأحياناً بعض الملابس والمواد الغذائية، وأحياناً أخرى بعض الكتب باللغة المحلية، وذلك من أجل تأليف قلوب الناس وتقريبهم إلى الإسلام، كما تكلف القافلة بإجراء المسح العام للمنطقة لمعرفة احتياجاتها ومشكلاتها لعرضها على المكتب الرئيس في المنطقة لدراستها وتقويمها.
وقد أجريت التجارب الأولية لهذه الخطة فوجدت نتائج طيبة مباركة ومشجعة للمزيد من العطاء والإنتاج، حيث أقبل الناس على العلم وبدأوا يتعرفون على العقيدة الصحيحة والعبادات السليمة، إضافة إلى الوثنيين الذين يسلمون على أيدي هؤلاء الدعاة (ولأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حمر النعم ».

متوسط تكلفة القافلة الدعوية الواحدة ١٣٥٠ دولار

الورقة الأخيرة

أيها الغيورون عتابكم مقبول

التحرير

بعد صدور العدد (٧٨) وما ورد فيه من رؤية خاصة لكاتبين من كُتاب المجلة في موضوعين مختلفين هما (ذوق الداعية) و(قصة: درس الشيخ)، وما ألمحا إليه من موقف رأياه عند ذكرهما للحديثين (حديث سلمان رضي الله عنه قال: قيل له: قد علمكم نبيكم صلى الله عليه وسلم كل شيء حتى الخراءة... الحديث)، وحديث (بول الأعرابي في المسجد) .
فوجئنا ببعض الإخوة الغيورين الذين كاتبونا وهاتفونا جزاهم الله خيراً مفيدين بأن سياق المقالين فيه استهانة وتقليل من قيمة الحديثين، ونعوذ بالله أن يخطر ببال مسلم أي شيء من ذلك، لكنها وجهة نظر حيال التناول الجزئي عند عرض ديننا الحنيف والتوقف عند نقاط بعينها، وتناسي الأصول العامة والكليات الكبرى.
ثم إن الخلاف قد يحصل من طريقة التناول، ولذلك نؤكد على أهمية ألا يخطر ببال أحد من قرائنا الكرام ما ذكر، ونحن نعلم ولله الحمد قيمة ما أوردته السنة، فحديث سلمان رضي الله عنه أخرجه مسلم والترمذي وأبو داود والنسائي وابن ماجة وغيرهم، ولذلك قال النووي رحمه الله : ومراد سلمان رضي الله عنه »أنه علمنا كل ما نحتاج إليه في ديننا...«، وجاء في »المنهل العذب المورود شرح سنن أبي داود« للسبكي [٣٨/١] عند شرحه لحديث سلمان رضي الله عنه عند

قوله: »أجل..«، يعني علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شيء نحتاج إليه في ديننا، وقال الطيبي: »جواب سلمان من باب أسلوب الحكيم لأن المشرك لما استهزأ كان من حقه أن يهدد أو يسكت عن جوابه، لكن ما التفت سلمان إلى استهزائه وأجاب جواب المرشد للسائل المُحَيّر«.
أما حديث بول الأعرابي، فقد رواه البخاري في كتاب الوضوء ح/٢١٩ [فتح الباري، الجزء الأول، ص ٣٨٥]، وقد ذكر ابن حجر في الفتح الحكم العظيمة من تركه يبول في المسجد.
لقد كان الحديثان الشريفان موثقين من المصادر المعتمدة، وحسبهما أنهما في الصحيحين، ولا يجوز لمسلم أن يشكك في صحتهما أو أن يقف منهما موقف المجادل أو المستهزيء، ونحن في هذه المجلة نصدر عن منهج إسلامي سلفي يقدر المصادر الحديثية المعتمدة، ونرفض جملة وتفصيلاً المساس بأي منها لأن ذلك يعني النكوص عن منهج سلفنا الصالح الذي طالما حذرنا من مخالفته في الكثير من البحوث والمقالات في هذه المجلة، لكن ما حصل كان وجهة نظر وضحنا منطلقها، والأخوان الكاتبان نحسبما، والله حسيبهما، ولا نزكي على الله أحداً من المعروفين بغيرتهما على السنة، ومن الملتزمين بها.
والله نسأل أن يغفر لنا جميعاً، وأن يهدينا إلى صراطه المستقيم.

تمت بعون الله والحمد لله رب العالمين